# فن الحوار الدعوي

## حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

## مع رستم قائد الفُرس أنموذجًا


إعداد

د/ عبد الرحمن ماهر عطية جمعة

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

# فن الحوار الدعوي حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع رستم قائد الفُرس أنموذجًا

**عبد الرحمن ماهر عطية جمعة**

**قسم الدعوة والثقافة الإسلامية- كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة - جامعة الأزهر الشريف بالمنصورة- مصر.**

**البريد الإلكتروني:** AbdulrahmanGomaa2725.el@azhar.edu.eg

**الملخص:**

الدعوة إلى الله تعالى من أعظم القربات وأجل الطاعات وأعلى المقامات، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾. وقد اهتم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالفتوحات الإسلامية بعد أن لحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى، ومن الأماكن التي وصلت إليها الفتوحات بلاد فارس (إيران حاليًا)، وكان من منهج القادة الفاتحين إرسال العلماء والدعاة إلى ملوك العجم ليدعوهم إلى الله تعالى، وكان أسلوب الدعوة يختلف باختلاف أحوال المدعوين، ومن ذلك أسلوب الحوار الذي استعمله أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام رستم قائد الفرس، وقد تم اختيارهم بعناية فائقة من قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نزولًا على أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن يرسل للدعوة الحكماء الفطناء، وقد اشتمل هذا الحوار على فنيات دعوية جديرة بالبحث، ومن هنا جاءت هذه الدراسة. وهدفت هذه الدراسة إلى إبراز عدة أهداف، منها: التعرف على سر قدوم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لبلاد فارس. التعرف على المنهجية الدعوية المستخدمة في هذا الحوار الفني. إلقاء الضوء على الشخصية الدعوية البارزة في هذا الحوار. بيان أهمية معرفة الداعية لأوضاع المدعوين والتعامل في ضوئها حال الحوار. ضرورة تحسين مستوى الداعية الثقافي للعمل على الحوار الراقي مع المدعوين. وقد اعتمدت في دراستي المنهج التحليلي، الذي يعتمد في عنصره الأساس على النظر في نص الحوار وتأمله تأملًا جيدًا واستخراج الجديد منه

بما يناسب الحال. وبإسقاط هذا المنهج على موضوع البحث، فإني أذكر نصوص الحوار التى دارت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقائد الفرس رستم، ثم أقوم بتحليله بدايةً بمنهج الصحابة في الحوار، ومرورًا بشخصيتهم المباركة حال الحوار، وانتهاءً بالإفادات الدعوية في ضوء هذا الحوار. وقد استنتجت من دراستي، حسن اختيار الصحابة الذين تحاوروا مع رستم بدقة ومهارة من قِبَل القائد الجليل والصحابي الموفق سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعالمية الدعوة الإسلامية وإيجاب نشرها على الدعاة والعلماء إلى قيام الساعة، ورفق الداعية حال حواره يدل على التدرب على فنيات الدعوة، والأخذ بقلب المدعو نحو رحاب الإسلام.

**الكلمات المفتاحية:** فن – الحوار الدعوي – حوار – الصحابة – الفُرس.

# The Art of Advocacy Dialogue The Companions' Dialogue  with Rustam the Persian Leader as a Model

**Abdul Rahman Maher Attia Juma**
**Department Dawah and Islamic Culture - Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah in Mansoura - Al-Azhar University in Mansoura - Egypt.**
**E-mail:** AbdulrahmanGomaa2725.el@azhar.edu.eg

**Abstract**:
The call to Allah is one of the greatest offerings and the best of the standings, as he said: "It is from the time that I am invited to god and he has worked hard and said that I am from 33.33. The Sahaba took care of the Islamic conquests after the Prophet joined the Supreme Comrade, and from the places where the conquests reached Persia (present-day Iran), it was the approach of the conquering leaders to send scholars and preachers to the kings of Ajam to invite them to Allah Almighty, and the method of advocacy varied according to the conditions of the invitees, including the method of dialogue used by the companions of the Messenger of God in front of Rustam, the leader of the Persians, and they were chosen very carefully by the Leader of the Muslims Saad bin Abi Waqas, according to the order of the Prince of believers. Omar ibn al-Khattab, to be sent to the call of the wise and intelligent, and this dialogue included advocacy techniques worthy of research, hence this study. This study aimed to highlight several objectives, including: Learn about the secret of the arrival of the companions of Persia. Learn about the advocacy methodology used in this technical dialogue. Highlighting the prominent advocacy figure in this dialogue.To show the importance of knowing the situation of the invitees and dealing in the light of the dialogue. The need to improve the level of cultural advocacy to work on high-end dialogue with the invitees. In my study, I adopted the analytical approach,

which depends primarily on considering, reflecting on the text of the dialogue and extracting new ones in a suitable way. By dropping this approach on the subject of the research, I mention the texts of the dialogue between the Sahaba and the commander of the Persians Rustam, and then I analyze it from the approach of the Sahaba in the dialogue, and through their blessed personality in the event of dialogue, and ending with the statements of call in the light of this dialogue. I concluded from my study, the good choice of the companions who interacted with Rustam with precision and skill by the venerable leader and the successful sahabi Saad bin Abi Waqas, and the universality of Islamic da'wa and the positive spread to preachers and scholars to the rise of the hour, and the companionship of the preacher in the event of his dialogue indicates the training of the techniques of da'wa, and the introduction of the heart of the invited towards the rehab of Islam.

**Keywords:** Art - Advocacy Dialogue - Dialogue - Sahaba – Persians.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادق الوعد الأمين، وعلى أصحابه وآل بيته الطيبين الطاهرين وعلى مَنْ استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد،

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم القربات وأجل الطاعات وأعلى المقامات، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (١)، وهذه الدعوة لا تكون سديدة وموفقة إلا إذا كانت عن علمٍ وبصيرة؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (٢). وهذه الدعوة عالمية لا تخص فئة دون أخرى، ولا قُطرًا دون غيره، وهذا ما وعاه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقاموا بالدعوة إلى الله تعالى خير قيام، واستعملوا كل ما يجذب القلوب ويريح النفوس؛ تثبيتًا لقلوب المؤمنين، وتأليفًا لقلوب غير المسلمين، اقتداءً وأسوةً بسيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اهتم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالفتوحات الإسلامية بعد أن لحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى، في خلافة الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وازدادت الفتوحات واتسعت رقعة الإسلام في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الأماكن التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية بلاد فارس (إيران حاليًا)، وكان من منهج القادة الفاتحين إرسال العلماء والدعاة إلى ملوك العجم ليدعوهم إلى الله تعالى، وكان أسلوب الدعوة يختلف باختلاف أحوال المدعوين، ومن ذلك أسلوب الحوار الذي استعمله أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام رستم قائد الفرس، وقد تم اختيارهم بعناية فائقة من قائد المسلمين سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نزولًا على

(١) سورة فُصِّلَت، الآية رقم ٣٣.
(٢) سورة يوسف، الآية رقم ١٠٨.

أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن يرسل للدعوة الحكماء الفطناء، وقد اشتمل هذا الحوار على فنيات دعوية جديرة بالبحث، ومن هنا جاءت هذه الدراسة.

**مشكلة الدراسة:**

يظن البعض أن دعوة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في بلاد فارس كانت عنيفة مبتدأة بالسيف والسنان دون استعمال حكمة اللسان، فجاءت هذه الدراسة لتكشف عن بطلان تلك الفرية الواهية، ولتثبت حكمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الدعوة واستخدام الحوار الفني الدعوي الذي يُستقى منه على مر العصوروكر الدهور ما يخدم الدعوة ويساند الدعاة.

**حدود البحث:**

حصرالبحث حول الحوار الفني الدعوي الصادر عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجاه رستم قائد الفرس فقط، مع عدم تخطيه إلى غيره مثل حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع يزدجرد ملك الفرس، فهذا خارج عن نطاق الدراسة.

**الدراسات السابقة:**

بعد الاطلاع على السجلات الخاصة بالرسائل العلمية، ماجستير ودكتوراه، ومراجعة الشبكة العنكبوتية تبين أنه ليس هناك موضوع يحمل هذا العنوان ولا ما يشابهه، فأحببت المشاركة في هذا الميدان لا سيما وأنه يتعلق بالتاريخ الدعوي لبعض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز عدة أهداف، تكون على النحو التالي:

١) التعرف على سر قدوم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لبلاد فارس.

٢) التعرف على المنهجية الدعوية المستخدمة في هذا الحوار الفني.

٣) إلقاء الضوء على الشخصية الدعوية البارزة في هذا الحوار.

٤) بيان أهمية معرفة الداعية لأوضاع المدعوين والتعامل في ضوئها حال الحوار.

٥) ضرورة تحسين مستوى الداعية الثقافي للعمل على الحوار الراقي مع المدعوين.

**أهمية الموضوع:**

للبحث أهمية كبرى تتمثل في نقاط عديدة، أهمها:

١) التعلق الوثيق بدور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عرض الإسلام على رستم وقومه مما يعطي للبحث أهمية كبرى في حياة الداعية.

٢) قوة الحجة في الحوار أمام رستم مما يؤكد الدراسة المستوفاة من قِبل الداعية قَبل الإقدام على الحوار.

٣) الإلمام بجميع زوايا الموضوع، مما يهيء داعية اليوم لسعة الأفق وبُعد النظر حال حوار الآخرين.

٤) التعرض للأصول والكليات حال الحوار، مما يوجب على الداعية مراعاة الأولويات في حواراته.

٥) الإيجاز البليغ مما يساعد الداعية على المحاكاة حال الحوار، ولأجل هذه الأهمية كان الاختيار.

**أسباب اختيار الموضوع:**

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع للكتابة فيه، عدة أسباب، على رأسها:

١) التعرف على جهود الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في بلاد فارس مما يؤكد على الداعية نشر الإسلام في كل الآفاق بحكم عالمية الدعوة.

٢) الاقتداء بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التحلي بالرفق واللين، والصبر على المخالف حال الحوار لا سيما مع غير المسلم تأليفًا لقلبه تمهيدًا لدخوله في رحاب الإسلام.

٣) محاكاة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الثبات على المبدأ مما يعطي الداعية ثقة في قلوب المدعوين.

٤) الاقتداء بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الوَحدة فيما بينهم وعدم الاختلاف والفُرقة مما يعطي الحوار ثمرته المرجوة.

٥) العمل على مشابهة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في نزاهة نفوسهم مما يؤكد على الداعية البعد عن الأغراض الدنيوية.

**تساؤلات الدراسة:**

للدراسة عدة تساؤلات، يجيب عنها البحث، وهي كالتالي:

١) ما الفترة الزمنية التي تم الحوار فيها بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورستم؟

٢) مَن مِن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحمَّل عبءَ هذا الحوار؟

٣) ما الأهداف التي حددها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ضوء دعوة رستم؟

٤) ما المفاهيم التي عمد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى تصحيحها؟

٥) ما الصفات البارزة التي تحلى بها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حال الحوار؟

٦) ما الإفادات الدعوية الناجمة عن حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم؟

لأجل هذه التساؤلات وغيرها جاء هذا البحث بفصوله الثلاث؛ ليجيب عنها إن شاء الله تعالى.

**منهج البحث:**

المنهج التحليلي، الذي يعتمد في عنصره الأساس على النظر في نص الحوار وتأمله تأملًا جيدًا واستخراج الجديد منه بما يناسب الحال.

وبإسقاط هذا المنهج على موضوع البحث، فإني أذكر نصوص الحوار التى دارت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقائد الفرس رستم، ثم أقوم بتحليله بدايةً بمنهج الصحابة في الحوار، ومرورًا بشخصيتهم المباركة حال الحوار، وانتهاءً بالإفادات الدعوية في ضوء هذا الحوار.

**خطوات البحث:**

سلك الباحث أثناء الدراسة الخطوات المنهجية التالية:

١) عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من سور القرآن الكريم.

٢) الحرص على تخريج الأحاديث النبوية من مظانها المعتمدة عند المحدثين، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، أكتفي بالعزو إليهما، أما إذا كان في غير الصحيحين فأعمل على ذكر حكم المحدثين على درجة الحديث، وذلك في نطاق وسعي.

٣) الترجمة للأعلام الذين وردت أسماؤهم في هذه الدراسة، وذلك من خلال التراجم الأصيلة.

**خطة البحث:**

هذا، واشتملت خطة البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

* **أما المقدمة فاحتوت على:** مشكلة الدراسة، وحدود البحث، والدراسات السابقة، وأهداف الدراسة، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، وخطوات البحث ، وخطته.
* وأما التمهيد، فإنه فصل تمهيدي، اشتمل على ثلاثة مباحث:
  - المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث.
  - المبحث الثاني: إطلالة على حال الفُرس قبيل الحوار.
  - المبحث الثالث: نص حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم.
* **أما الفصل الأول** فهو بعنوان (المنهجية الدعوية في ضوء حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم).

ويتكون من خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** بيان المهام المنوطة بالفاتحين.
- **المبحث الثاني:** تحديد الهدف ورد الشبه.
- **المبحث الثالث:** العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة.
- **المبحث الرابع:** مقابلة ضرب الأمثال بأقوى منها.
- **المبحث الخامس:** الوصف الدقيق لحال المدعوين.

* **أما الفصل الثاني،** فقد جاء تحت عنوان (الشخصية الدعوية الناجحة من خلال حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم).

واحتوى على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** التزام الصدق.
- **المبحث الثاني:** سرعة البديهة.
- **المبحث الثالث:** عزة النفس.

* **أما الفصل الثالث،** فقد جاء بعنوان (المستفاد من حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم).

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** إجادة لغة المدعو.
- **المبحث الثاني:** التركيز على الأصول دون الفروع.
- **المبحث الثالث:** التزام الرفق قولًا وفعلًا.

* **وأما الخاتمة** فاشتملت على أهم النتائج والتوصيات، ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وبعد، فقد بذلت قصارى جهدي راجيًا أن يخرج هذا البحث على النحو اللائق به في الموضوع، والشكل، والمنهج، فإن قارب حد الصواب فهذا من فضل الله تعالى، وإن اعتراه قصور أو خلل فهذا هو المعهود من عجز البشر، وأسأل الله الستر والعافية في الدنيا والآخرة، كما أرجو من أساتذتي النصح والتوجيه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

## التمـهيد

**ويشتمل على ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** التعريف بمفردات عنوان البحث.

**المبحث الثاني:** إطلالة على الفرس قُبيل الحوار.

**المبحث الثالث:** نص حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم.

## المبحث الأول
## التعريف بمفردات عنوان البحث

قبل الدخول في مضمون البحث ينبغي الوقوف على مفرداته حيث إن هناك تلازم دائم بين المعاني اللغوية والمدلولات الشرعية، وذلك على النحو التالي:

**فن**: تستعمل هذه الكلمة ويراد بها «البراعة، والمهارة»(١). وهذا يدل على أن الفن ليس بوسع كل أحد، حيث إنه يحتاج لمقومات كالبراعة والمهارة، وهذا توفر بشكل واضح ومؤثر لدى أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حال حوارهم رستم قائد الفرس.

**الحوار**: أتت هذه الكلمة في معاجم اللغة على معانٍ عدة: فتأتي بمعنى الرجوع: يقال: «الحوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء»(٢)، وتأتي بمعنى مكالمة الآخر، يقال: «حاورت فلانًا محاورة: إذا كلمك فأجبته»(٣)، وتأتي بمعنى التدقيق في الشيء، يقال: «تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم»(٤).

وبإسقاط هذه المعاني على موضوع البحث يتضح أن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ كانوا يدققون النظر في الكلام المراد عرضه على رستم، ثم يواجهونه به عن كل ثقة ويقين، كي يرجع هو وقومه إلى دين الإسلام، ولكن هداية التوفيق يد الله وحده.

أما **الحوار في الاصطلاح**، فيقصد به: «مناقشة بين طرفين أو أطراف يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول

(١) ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر، جـ ٨، صـ ١٢٢، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط ١ سنة ١٩٧٩ م، ٢٠٠٠ م.

(٢) لسان العرب لجمال الدين بن منظور، ت: ٧١١ هـ، جـ ٤، صـ ٢١٧، الناشر: دار صادر – بيروت، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ.

(٣) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي، ت ٣٢١ هـ، جـ ١، صـ ٥٢٥، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٧ م.

(٤) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ت ٨١٧ هـ، صـ ٣٨١، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٨، سنة ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

والرأي»[1]، وهذه المعاني كلها كانت من مقاصد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حال دعوتهم رستم وحوارهم إياه.

**الدعوي**: الدعوة: قد يراد بها الإسلام ذاته، وقد يراد بها التبليغ. والنوع الذي يسير عليه البحث هو الدعوة بمعنى التبليغ والنشر، وهو «العلم الذي تُعرف به أسس وتطبيقات كافة العمليات الفنية المتنوعة القادرة على تبليغ الإسلام للناس على الوجه المشروع»[2].

وبإنزال هذا التعريف على جهود الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حال محاورة رستم يتضح أنهم كانوا يحملون علمًا شرعيًا مع حسن حديثهم وقوة عرضهم مما أكسبهم القدرة على إقناع المستمعين، واستمالة قلوبهم نحو دين الإسلام.

**الصحابة**: من أدق التعريفات التي تعرضت لمعنى الصحابي، تعريف الحافظ ابن حجر، حيث قال: «مَنْ لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه مَنْ طالت مجالسته له أو قصرت، ومَنْ روى عنه أو لم يروِ، ومَنْ غزا معه أو لم يغزُ، ومَنْ رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومَنْ لم يره لعارض كالعمى»[3].

والمقصود بالصحابة في العنوان: أي البعض لا الكل، وهم أربعة: المغيرة بن شعبة، ربعي بن عامر، حذيفة بن محصن، والنعمان بن مقرن رضي الله عنهم أجمعين.

والناظر لترجمتهم – كما سيأتي إن شاء الله تعالى – يرى أنهم جميعًا انطبق عليهم وصف الصحبة.

**رستم**: هو رستم فرخذاد، قائد الجيش الفارسي في عهد آخر ملوك الدولة

(١) أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتطبيقاته التربوية، عدنان بن سليمان الجابري، صـ ٣٩، عام النشر: ١٤٣٣/ ١٤٣٤ هـ.

(٢) أصول الدعوة الإسلامية، أ. د/ أحمد أحمد غلوش، صـ ٣٠، دار الرسالة، ط الأولى، سنة ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، جـ ١، صـ ١٥٨، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ سنة ١٤١٥ هـ.

الساسانية يزدجرد (٦٣٢ – ٦٥١ م)، أصله من أرمينيا، وكان يخدم ملك الفرس بإخلاص، وكان ذا حنكة عسكرية، وقتل في معركة القادسية سنة أربع عشرة من الهجرة(١). وهو الذي استقبل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان الحوار معه وليس الملك، بحكم قيادته للجيش الفارسي، وقدرته على الحوار.

**الفرس**: هي بلاد إيران حاليًا، «وكانت الدولة الساسانية تحكمها في القرن السابع الميلادي، ويكوِّن الفرس مادة الإمبراطورية، وكان الحكم فيها كسرويًا مطلقًا، ويقف على رأسه الملك ولقبه كسرى، وصلاحيته مطلقة، ولم يعرف الفرس الدين الحق، ولم تنتشر بينهم الأديان السماوية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود، وكان أكثرهم على المجوسية – أي عبادة النار – وقد أقيمت معابد النيران في أرجاء المملكة»(٢).

**أنموذجًا**: هذه الكلمة جاءت في معاجم اللغة بمعنى مثال الشيء(٣).

«وما زال العلماء قديمًا وحديثًا يستعملون لفظة الأنموذج، وقد أطلق الزمخشري وهو من أئمة اللغة هذا الاسم على أحد كتبه فسماه «الأنموذج» ولذا فقد صححته المعاجم»(٤).

وقد يأتي الأنموذج بمعنى «القليل من الكثير»(٥).

(١) ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت، تاريخ الاطلاع على الموقع: ٢٠/ ٣/ ٢٠٢١ م، الساعة ١٠:٣٠ مساءً.

(٢) عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، أكرم ضياء العمري، صـ ٣٣١ – ٣٣٣، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ سنة ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام ابن الجوزي، ت ٥٩٧ هـ، جـ ٥، صـ ١٢٣ – ١٢٤، المحقق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ سنة ١٩٩٢ م.

(٤) ينظر: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د / أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، جـ١ ، صـ ٨٦، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، صـ٦٥، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط ١– ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

وبإسقاط هذين المعنيين على موضوع البحث يتضح ذكر مثال واحد من بين المحاورات الفنية ألا وهو حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم قائد الفرس، وبما أن المحاورات كثيرة على مدى تاريخ الدعوة والدعاة فقد اكتفيت بهذا الحوار فقط.

وبعد ذكر هذه المعاني والتفصيلات التي تضمنها عنوان البحث أنتقل إلى ذكر إطلالة على الفرس ووصف حالهم قبيل الحوار الذي دار بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورستم، وذلك من خلال المبحث التالي:

## المبحث الثاني
## إطلالة على حال الفرس قبيل الحوار

مما هو معلوم أن الإسلام الحنيف يبدأ بالدعوة لا بالقتال، وبالنصح لا بالمشاجرات، وكان أول احتكاك وتعامل بين المسلمين والفرس عن طريق الدعوة وبيان سبيل الهدى، حين أرسل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رسالته إلى كسرى، والتي جاء فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ»(١)، غير أن رد فعل كسرى لم يكن حسنًا، فقد مزَّق كتاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفي هذا إهانة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فروى الإمام البخاري في صحيحه أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعث بكتابه إلى كسرى، فَأَمَرَهُ – أي عبد الله بن حذافة السهمي – أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، يَدْفَعُهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى حَرَّقَهُ، – فَحَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ قَالَ –: فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»(٢)، ولم يكتفِ بتمزيق كتاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بل حاول قتل حامل الرسالة والذي نجح بالهرب من غدره(٣)، وزاد فجوره وعدوانه حين أرسل رجلين ليأتياه برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مقيدًا في السلاسل، غير أن الله تعالى عصمه وردَّ كيده في نحره، وكان مآله أن قتله ولده، واستولى على ملكه(٤).

واستمرت أوضاع الفرس في حالة سيئة تجاه العرب عامة والمسلمين منهم

(١) تاريخ الطبري، جـ ٢، صـ ٦٥٤.

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يُقاتلون عليه؟، وما كتب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال، جـ ٢، صـ ٢٣٦، حديث رقم (٢٩٣٩).

(٣) ينظر: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، جهاد الترباني، صـ ٣٥٦، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١ سنة ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

(٤) ينظر في ذلك: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي الذي أرسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد بن علي بن حسن الأنصاري، جمال الدين بن حديدة ت ٧٨٣ هـ، جـ ٢، صـ ١٥٤، المحقق: محمد عظيم الدين، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

خاصة، «فقد استهلت سنة أربع عشرة من الهجرة، والخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق – أي الفرس منهم –، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر[١]، وانتظام شمل الفرس، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم، وقد كتب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد»[٢]، ويلاحظ من ذلك:

- الرد المسيء من كسرى على رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- محاولة قتل حامل الرسالة عبد الله بن حذافة السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- إرسال قوات للإتيان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى، ولكن الله تعالى عصم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتطاول كسرى على صاحب المقام المحمود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما وصل إليه الكتاب: «يكتب إليَّ وهو عبدي»[٣].
- محاربة المسلمين ونقض العهود والمواثيق المبرمة والاعتداءات المتكررة مما اضطر أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إرسال قوات غفيرة بقيادة سعد بن أبي وقاص[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لتأديب الفرس ورد كيدهم في نحورهم، وذلك في معركة

(١) هي موقعة قُتل فيها قائد المسلمين أبو عبيد، وخلق كثير من جنود المسلمين على يد الفرس سنة ثلاث عشرة من الهجرة، بعد معركة اليرموك بأربعين يومًا. ينظر: البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، جـ ٧، صـ ٢٧، ٢٨.

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٧، صـ ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري، جـ ٢، صـ ٦٥٥.

(٤) هو سعد بن مالك، أبو إسحاق القرشي، المكي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد الستة أهل الشورى الذين اختارهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبيل وفاته، وأول من رمى بسهمٍ في سبيل الله، وهو من أخوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان مستجاب الدعوة، شهد بدرًا، واستعمله الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا في فتح القادسية، توفي سنة خمس وخمسين من الهجرة. ينظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي، جـ ٣، صـ ٦٦ – ٨٤، علق عليه: أيمن محمد الشبراوي، ط دار الحديث – القاهرة، سنة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.

القادسية[١] الشهيرة، ولما اصطف الجيشان طلب رستم قائد الفرس من سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائد المسلمين أن يرسل إليه رسولًا ليتعرف على سبب مجيئهم، وعلى الفور استجاب سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لطلبه وأرسل إليه عددًا من الصحابة واحدًا تلو الآخر، وفي سرعة الاستجابة هذه دلالة على أن الإسلام الحنيف هدفه الدعوة والبناء لا القتال والهدم.

إذا تقرر هذا، فماذا عن الحوار الذي دار بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبين رستم قائد الفرس؟ هذا ما ألقي الضوء عليه في المبحث التالي:

(١) كانت من أعظم الوقائع بين المسلمين والفرس، وكانت بقيادة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة أربع عشرة من الهجرة، وفيها قُتل رستم قائد الفرس، ثم انهزم قومه، وتقع القادسية بين النجف والحيرة إلى الشمال الغربي من الكوفة، وإلى الجنوب من كربلاء. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن صالح البلادي الحربي ت ١٤٣١ هـ، صـ ٢٤٥، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

## المبحث الثالث

## نص حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم

مما هو معلوم أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نشروا الإسلام في ربوع الأرض بالحكمة والقدوة فصار الناس فريقين: منهم من أذعن واستجاب، وصار عونًا للدعوة الإسلامية، ومنهم مَنْ أعرض وعاند، وفي كل الحالات كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحاورون المدعوين ويناقشونهم ويرفعون عنهم كل التباس، ويوضحون ما خفي عنهم وأُشكل، ومن نماذج ذلك ما قام به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من استخدام الفن الدعوي حال حوار رستم وقومه، وإليك نصوص الحوار:

**أولًا: حوار المغيرة بن شعبة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

«ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا، فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولًا قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على مَنْ لم يدِنْ بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز. فقال له رستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال: ما أحسن هذا! وأي شيء أيضًا؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضًا،

(١) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب الأمير، وقد شهد بيعة الرضوان وصلح الحديبية وما بعدهما من المشاهد، وكان رجلًا طوالًا مهيبًا، ذهبت عينه يوم الروم وقيل يوم القادسية، وكان داهية، يقال له: مغيرة الرأي، أمَّره الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على البصرة فبقي عليها ثلاث سنين، وقد قال عنه الشعبي: المغيرة من دهاة العرب، وقد تولى إمرة الكوفة قبيل وفاته، ومات سنة خمسين من الهجرة. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، جـ ٤، صـ ١٩٧، ٢٠٣.

وأي شيء أيضًا؟ قال: والناس بنو آدم، فهم إخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضًا.

ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضًا. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه»[(١)].

* وجاء حوار دعوي آخر بين المغيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ورستم، ما نصه: «لقد أقبل المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والقوم في زيهم، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبُسُطهم على غَلْوَة لا يصل إلى صاحبهم، حتى يمشي عليهم غَلْوَة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي، حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه وأنزلوه ومغثوه فقال: كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قومًا أسفه منكم! إنا معشر العرب سواء، لا يستعبد بعضنا بعضًا إلا أن يكون محاربًا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم، ولكن دعوتموني اليوم، علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن مُلكًا لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول. فقالت السفلة: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين – أي كبارهم –: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة! فمازحه رستم ليمحو ما صنع، وقال له: يا عربي، إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك، فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق، ما هذه المغازل التي معك؟ قال: ما ضر الجمرة ألا تكون طويلة! ثم راماهم وقال: ما بال سيفك رثًا؟ قال: رث الكسوة، حديد المضربة ثم عاطاه سيفه، ثم قال له رستم: تكلم أم أتكلم؟ فقال المغيرة: أنت الذي بعثت إلينا، فتكلم، فأقام الترجمان بينهما، وتكلم رستم، فحمد قومه، وعظم أمرهم وطوله، وقال: لم نزل متمكنين في البلاد، ظاهرين

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥١٧، ٥١٨، وينظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.

على الأعداء، أشرافًا في الأمم، فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا، نُنصر على الناس ولا يُنصرون علينا إلا اليوم واليومين، أو الشهر والشهرين، للذنوب، فإذا انتقم الله فرضي رد إلينا عزنا، وجمعنا لعدونا شر يوم هو آت عليهم، ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرًا منكم، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئًا ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين، وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم.

فتكلم المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن الله خالق كل شيء ورازقه، فمن صنع شيئًا فإنما هو الذى يصنعه هو له وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك، من الظهور على الأعداء والتمكن في البلاد وعظم السلطان في الدنيا، فنحن نعرفه، ولسنا ننكره، فالله صنعه بكم، ووضعه فيكم، وهو له دونكم، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال، وضيق المعيشة واختلاف القلوب، فنحن نعرفه، ولسنا ننكره، والله ابتلانا بذلك، وصيرنا إليه، والدنيا دول، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، ويصيروا إليها، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر، كان شكركم يقصر عما أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر، كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبًا من الله رحمة يرفه بها عنا، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه، أو كنتم تعرفوننا به، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولًا ثم ذكر مثل الكلام الأول، حتى انتهى إلى قوله: وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبدًا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر، وإلا فالسيف إن أبيت! فنخر نخرة، واستشاط غضبًا، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غدًا حتى أقتلكم أجمعين.

فانصرف المغيرة، وخلص رستم تألفًا بأهل فارس، وقال: أين هؤلاء منكم؟

ما بعد هذا! ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم، ثم جاءكم هذا، فلم يختلفوا، وسلكوا طريقًا واحدًا، ولزموا أمرًا واحدًا، هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين! والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء! فلُجُّوا وتجلَّدوا وقال: والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم، وإن هذا منكم رياء، فازدادوا لجاجة»(١).

**ثانيًا: حوار ربعي بن عامر(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

«ثم بعث إليه سعد رسولًا آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم. وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال مَنْ أبى، والظفر لمن بقي. فقال

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١، ٥٢٢، وينظر: الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٩ – ٣٠٠، تحقيق: عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

(٢) هو ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو التميمي، أدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من أشراف العرب، وللنجاشي الشاعر فيه مديح، وكان على مقدمة جند العراق، وله ذكر في غزوة نهاوند، وكان ممن بنى فسطاط أمير تلك الغزوة النعمان بن مقرن، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان، وكانوا لا يؤمّرون إلا الصحابة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر، جـ ٢، صـ ٣٧٨، ترجمة رقم (٢٥٧٨).

رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى تنظر فيه وتنظروا؟ قال نعم! كم أحب إليكم؟ يومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه. فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والبيشكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب»[1].

**ثالثًا: حوار حذيفة بن محصن[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

«فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا، فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقبل في نحو من ذلك الزي، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: إنزل، قال: ذلك لو جئتكم في حاجتي، فقولوا لملككم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي، فقد كذب، ورجعت وتركتكم، فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحب فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره، فقال: إنزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء، فهذه نوبتي. قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ مَنَّ علينا

(١) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٨، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١، ٦٢٢، وينظر: تاريخ ابن خلدون، جـ ٢، صـ ٥٢٩ المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ٢ سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

(٢) هو حذيفة بن محصن الغلفاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، استعمله الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمان بعد عزل عكرمة، ولم يزل عليها إلى أن مات أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودعا أهل عمان إلى الإسلام، فأسلموا كلهم إلا أهل داب – مدينة من مدن عمان – وله في قتال الفرس آثار كثيرة، واستعمله الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على اليمامة، وشاكر في حروب الردة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، جـ ٢، صـ ٣٨، وينظر: أسد الغابة لابن الأثير، جـ ١، صـ ٧٠٥، و جـ ٤، صـ ٢١، تحقيق: علي محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.

بدينه، وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث، فأيها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ويمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة فقال: أو الموادعة إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثًا من أمس، فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه، فقال: ويحكم! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقر ما نعظم، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به، فهو في يمن الطائر، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم، مع فضل عقله وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا، فهو في يمن الطائر، يقوم على أرضنا دوننا، حتى أغضبهم وأغضبوه»[(١)].

**رابعًا: حوار النعمان بن مقرّن[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

لما ذهب النعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رستم أوضح قائلًا ومحاورًا: «إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهين: مُكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٢.

(٢) هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، الأمير أبو عمرو، كان معه لواء مزينة يوم الفتح، وقد سكن البصرة، وتحول عنها إلى الكوفة، وقدم المدينة بشيرًا بفتح القادسية، واستعمله الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا على الجيش الذي افتتح نهاوند، فاستشهد بها سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وكان مجاب الدعوة، ونعاه الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر إلى المسلمين، وبكى. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، جـ ٤، صـ ٢٤، ٢٥، وينظر: أسد الغابة لابن الأثير، جـ ٥، صـ ٣٢٣.

بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم»[1].

وجاء في حوار آخر للنعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حال إيضاح هدفهم أمام رستم: «وأما ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى، وانتشار أمرنا، فلما تبلغ كنهه! يموت الميت منا إلى النار، ويبقى الباقي منا في بؤس، فبينا نحن في أسوإ ذلك، بعث الله فينا رسولًا من أنفسنا إلى الإنس والجن، رحمة رحم بها من أراد رحمته، ونقمة ينتقم بها ممن رد كرامته، فبدأ بنا قبيلة قبيلة، فلم يكن أحد أشد عليه، ولا أشد إنكارًا لما جاء به، ولا أجهد على قتله ورد الذي جاء به من قومه، ثم الذين يلونهم، حتى طابقناه على ذلك كلنا، فنصبنا له جميعًا، وهو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى، فأعطي الظفر علينا، فدخل بعضنا طوعًا، وبعضنا كرهًا، ثم عرفنا جميعًا الحق والصدق لما أتانا به من الآيات المعجزة، وكان مما أتانا به من عند ربنا جهاد الأدنى فالأدنى، فسرنا بذلك فيما بيننا، نرى أن الذي قال لنا ووعدنا لا يخرم عنه ولا ينقض، حتى اجتمعت العرب على هذا، وكانوا من اختلاف الرأي فيما لا يطيق الخلائق تأليفهم.

ثم أتيناكم بأمر ربنا، نجاهد في سبيله، وننفذ لأمره، وننتجز موعوده، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله، وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزى، فإن فعلتم وإلا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم، فاقبلوا نصيحتنا، فو الله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم، ولقتالكم بعد أحب من صلحكم.

وأما ما ذكرت من رثاثتنا وقلتنا فإن أداتنا الطاعة، وقتالنا الصبر وأما ما ضربتم لنا من الأمثال، فإنكم ضربتم للرجال والأمور الجسام وللجد الهزل، ولكنا سنضرب مثلكم، إنما مثلكم مثل رجل غرس أرضًا، واختار لها الشجر والحب، وأجرى إليها الأنهار، وزينها بالقصور، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها، ويقومون

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٢، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٧، صـ ٣٧.

على جناتها، فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب، وفي الجنان بمثل ذلك، فأطال نظرتهم، فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم، استعتبهم فكابروه، فدعا إليها غيرهم، وأخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس، وإن أقاموا فيها صاروا خولًا لهؤلاء يملكونهم، ولا يملكون عليهم، فيسومونهم الخسف أبدًا، ووالله أن لو لم يكن ما نقول لك حقًا، ولم يكن إلا الدنيا، لما كان لنا عما ضَرِيْنا به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زبرجكم من صبر، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه»[١].

وبعد هذا الحوار التاريخي الصادر من قِبل أربعة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام رستم، فماذا عن الفن الدعوي الذي استخدموه في هذا الحوار؟ هذا ما يتم التعرف عليه والكشف عنه في ضوء الفصلين التاليين...

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨، ٥٢٩.

## الفصل الأول

## المنهجية الدعوية في ضوء حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم

**ويتكون من خمسة مباحث:**

**المبحث الأول:** بيان المهام المنوطة بالفاتحين.

**المبحث الثاني:** تحديد الهدف ورد الشبه.

**المبحث الثالث:** العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة.

**المبحث الرابع:** مقابلة ضرب الأمثال بأقوى منها.

**المبحث الخامس:** الوصف الدقيق لحال المدعوين.

## الفصل الأول

## المنهجية الدعوية في ضوء حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم

إن الداعية المتطلع إلى النجاح في دعوته، الراجي توفيقًا في رسالته، يضع نُصب عينيه ركائز منهجية وأسسًا علمية سليمة يسير عليها في دعوته كي يصل إلى بر الأمان دون تخبط أو عشوائية؛ لأن الداعي كلما كان مرتبًا في حواره، منظمًا في أدائه، منهجيًا في عرضه، كان التوفيق سمته، والسداد هديه، وهكذا كان حال أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامة، ومَنْ أنيط بهم دعوة رستم وقومه خاصة، فقد ظهرت المنهجية الدعوية حال حوارهم التاريخي، بخلاف مَنْ أقدم على الدعوة لا سيما مع غير المسلمين دون رؤية يحددها، أو هدفٍ يصبو إليه، أو طريقٍ يسير عليه، فإنه سرعان ما تخفق دعوته، وتضمحل آثاره، وتجف منابعه، وهكذا حال مَنْ أغفل أو تغافل عن المنهجية الدعوية مع الجماهير المدعوين،

إذا تقرر هذا، فماذا عن المنهج الدعوي الذي استخدمه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثناء دعوتهم رستم وحوارهم إياه؟، هذا ما يتم إلقاء الضوء عليه من خلال المباحث التالية:

## المبحث الأول

## بيان المهام المنوطة بالفاتحين

لما طلب رستم من قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبعث إليه رجلًا ليتعرف على سر قدومهم إلى بلاد فارس، فأرسل إليه ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهنا عمل رستم على استخدام الزينة البراقة والفرش الملونة المذهبة ظنًا منه أن ذلك سيكون فتنة على الداخل، وأيضًا أن يذله في نفسه من حيث غنى بلاد فارس، وفقر وتقشف بلاد العرب، ولكنه غفل عن أن المرسَل إليه لا يبالي بهذا كله؛ لأنه مشغول بما هو أعظم من ذلك «فعند قدوم ربعي زينوا مجلس رستم بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، ثم أقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي»[1].

وبهذه الكلمات الفصيحة الموجزة استطاع ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يوضح سر قدومهم إلى بلاد فارس، ويمكن استخراج التحليلات الدعوية في ضوء النقاط التالية:

١ – **اشتراك الدعاة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبليغ رسالة الإسلام:** إن الداعية الحق يكون واسع الأفق في عرض مهمته وألا يكون سطحيًا دون النظر

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٠، وينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٦٢٣، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٩، صـ ٢٦١، ٦٢٢، وينظر: تاريخ ابن خلدون، جـ ٢، صـ ٥٢٩.

إلى عمق المعاني ودرر الكلام، فلقد بيَّن ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرستم أن رسالة الإسلام والدعوة إليها لم تتوقف بموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يتحملها العلماء والدعاة جيلًا بعد جيل إلى قيام الساعة، كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرستم: « الله ابتعثنا» فلفظ البعثة فيه مفهوم واسع المعاني، وهو مستنبط من قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (١).

فالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة لم تكن مقتصرة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بدليل قول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ﴾ ، وهذا دليل على أن ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما تحاور مع رستم فإنه نطق بعلم وبصيرة، واستند إلى نصوص الشريعة الإسلامية من قرآنٍ وسنة، وعلى هذا ينبغي أن يكون الدعاة، عليهم أن يتخطوا مرحلة حفظ النصوص إلى التفقه في المعاني والنظر باعتبارٍ مقاصد الشريعة، وهذا من الخير الذي إذا أراده الله تعالى بعبده وفقه إليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢)، فحفظ النصوص ما هو إلا وسيلة للوصول إلى فقهها، والتعايش معها في ضوء الواقع لا سيما إذا كان تعامل الداعية مع غير المسلمين كما حدث من ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تجاه رستم قائد الفرس. يقول أبو الحسن الندوي عن اجتهاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في حمل هذه الرسالة المباركة ونشرها في الآفاق وربوع الأرض «بهذه الرسالة انبثوا في العالم وحملوها إلى الملوك والسوقة والأمم، وفي سبيل ذلك هاجروا وجاهدوا وحاربوا وعاهدوا، ولم يزالوا يعتقدون أنهم مبعوثون من الله تعالى إلى الأمم، وحاملو راية الإسلام في العالم»(٣). فبحسن

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، حديث رقم (٣١١٦)، رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، صـ ٤٩٤، حديث رقم (١٠٣٧).

(٣) إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن الندوي، صـ ١٥، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، ط ٤ سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

اعتقاد عالمية الدعوة الإسلامية وبحكمة نشر الإسلام طاف الصحابة رضوان الله عليهم ليكونوا مشاعل النور ومصابيح الدجى للبشرية جمعاء دون استثناء.

٢ - **التحرير من الاستعباد البشري:** مما هو معلوم أن الناس سواء في أصل الخلقة، فلِمَ يتعالَ بعضهم على بعض، لدرجة أن يصل أحدهم إلى أعلى درجات الحرية والآخر إلى أحط دركات الاستعباد، وهذا ما رفضه الإسلام وعمل على محوه، وهيأ الأسباب لإزالته، وهو ما قرره ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حال حديثه مع رستم حين قال: «الله ابتعثنا لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله»(١). وتقرير ربعي وتأصيله نتج عن استناده لنص قرآني قطعي الثبوت والدلالة في رفض استعباد الناس كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾**﴾ (٢).

وتحرير العباد من الاستعباد لبني جنسهم قد أقره العقل والمنطق كما أقره الشرع، إذ كيف نشترك في أصل الخلقة، ويتسلط بعضنا على بعض، فهذا أمر مرفوض لدى العقلاء، ومستهجن عند النبلاء، ومستقبح في أعين الفطناء، ومن فقه ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حال حواره مع رستم أنه بيَّن العبادة بمفهومها الواسع الشامل، فالعبادة لا تقتصر على السجود أو التقرب بالنذور أو التوجه بالدعاء للمعبود، بل إن تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل الله هو من جنس العبادة أيضًا، ودليل ذلك ما رواه عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في سورة براءة: ﴿**ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ**

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

﴿أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ (١) قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه»(٢). فانظر كيف عبَّر ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك كله بكلام موجز بقوله: «وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد».

وربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الكلمات الموجزة المعبِّرة أراد إيقاف رستم على حقيقة ما يدعو إليه الإسلام، وأن ما تفعلونه تجاه بعضكم البعض لا يمت لهذا الدين الحنيف بصلة.

هذا، ومن فقه الداعية أن يعمل على تحرير المدعو من الاستعباد قبل أن يدعوه إلى الإسلام؛ حتى يؤهله ذلك تأهيلًا نفسيًا لقبول الدعوة؛ لأن المدعو إذا اعتنق الإسلام مع وقوعه في حبائل الاستعباد فإنه لن يرى فارقًا كبيرًا قبل الإسلام وبعده، ومن ثم فقد يعاود نفسه في الرجوع إلى جاهليته الأولى، وبذلك يكون ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أوائل من فطنوا إلى هذا الأمر فاعتنوا به وعملوا على تغييره، وذلك في ضوء خطابه مع رستم وحواره اللبق الحكيم.

٣ – **إيضاح حقيقة الضيق والسعة:** لقد أراد ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يوقف رستم على حقيقة معنى الضيق والسعة، وأن الضيق لا يكون مقرونًا بالفقر، والسعة لا تكون مقترنة بالغنى، فكم من فقير أسعد نفسه وسَعِدَ به غيره، وكم من غني شقي بماله وأشقى غيره، فالمتبادر من هذا الحوار الدعوي يتضح أن ربعيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة، ويسعى لنشر المعنى الحقيقي من وراء الضيق والسعة، وأن هذا لا يتحقق معناهما الصحيح إلا بعد الدخول في دين الإسلام كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضحًا سر قدومهم أمام رستم:

(١) جزء من آية ٣١ من سورة التوبة.

(٢) رواه الإمام الترمذي في سننه، جـ ٥، صـ ١٢٩، حديث رقم (٣٠٩٥)، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨ م.

«والانتقال من ضيق الدنيا إلى سعتها»[1].

وكأن ربعيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير إلى أن الركون إلى الأمتعة الثمينة والزينة الكثيرة التي يعيش فيها رستم وقومه ليست دليل السعة، فالسعة مفهوم واسع لا ينحصر في كثرة الأمور المادية، بل يتسع ليصل إلى انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وهدوء النفس، وراحة البال، وهذا لا يتحقق من خلال جمع زينة الدنيا، بل بالنظر إلى الأمور الروحية التي لا غنى للقلب عنها لإسعاد النفس، والخروج من ضيق الدنيا.

هذا، وربعيٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرِّض برستم وقومه أن الضيق قد تملك منهم على وفرة الأموال، فأراد أن يخرجهم منه إلى السعة، وهو دين الإسلام، وبذلك يصير ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طبيبًا روحيًا، حيث إنه شخَّص الداء ثم عمد إلى استخدام الدواء الناجع الذي يشفي العليل، ويداوي السقيم، والناظر إلى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معرض الحديث عن الضيق والسعة يتضح له أن القرآن الكريم قرر ذلك بوضوح كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾**﴾[2]. وهذا يدل على أن ربعيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظر إلى الآيات المتحدثة عن الضيق والسعة نظرة المتأمل ثم صاغها في أسلوب دعوي يراعي واقع رستم وجنوده.

٤ – **الانتقال من جور الأديان إلى عدل الإسلام:** إن ربعيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان على علم بالأوضاع من حوله لا سيما دولة الفرس محل الدعوة المناطة به، لذا استطاع أن يصف الأمر على ما هو عليه، ويقرر الواقع على حقيقته أمام رستم دون تجنٍ أو افتراء، فكان القوي يأكل الضعيف ويستعبده، وينقض على مال من لا شوكة له ولا حيلة كما ينقض الأسد على فريسته دون شفقة أو رحمة، وكذلك انتهاك الأعراض واستباحة الحرمات دون حياء أو مراجعة نفس،

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٠.
(٢) سورة طه: الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

والسعي لإزهاق الأرواح البريئة طمعًا في الدنيا، وهكذا كان حال بعض العرب قبل مجيء الإسلام كما قال الصحابة لرستم في آخر حوار: «وأما ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى، وانتشار أمرنا، فلما تبلغ كنهه! يموت الميت منا إلى النار، ويبقى الباقي منا في بؤس، فبينا نحن في أسوإ ذلك، بعث الله فينا رسولًا من أنفسنا إلى الإنس والجن، رحمة رحم بها من أراد رحمته، ونقمة ينتقم بها ممن رد كرامته»(١).

فإذا كان العرب قبل مجيء الإسلام في حالة سيئة، فأحوال العجم من الفرس والروم أسوأ من باب أولى، ولذلك عبر ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مهمته تجاه ذلك أمام رستم بقوله: «ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»(٢)، فكل مَنْ ابتعد عن الإسلام وهديه كان مجانبًا للصواب، وفي هذا إشارة إلى رستم وجنده أن ملككم قائم على غير العدل، ومن ثم ينهار ويتهاوى، وهذا ما تم بالفعل.

كذلك أراد ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ينتقل بهم من هذه الحياة الجاهلية إلى سماحة الإسلام وأساسه القائم على العدل والإنصاف حتى ولو كان الشخص عدوًا كما قال الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾**﴾(٣).

فقول ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إلى عدل الإسلام» هي كلمة جامعة تشير إلى فقهه بما يتحدث به ويخبر عنه، وكأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعقد لرستم وجنده مقارنةً يذكر فيها الفوارق الواضحة العديدة بين جور الأديان وعدل الإسلام؛ لأنها وبضدها تتميز الأشياء، وهذا من بصيرته وحسن عرضه للدعوة حال حواره مع رستم وجنده.

٥ – **إذابة الفوارق بين الأجناس:** إن الإسلام الحنيف لا يعامل الناس على أساس اللون أو الجنس، إنما يعاملهم معاملة حسنة واحدة، والفارق بينهم يكون بالتقوى

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨.
(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢٢.
(٣) سورة النساء الآية ١٠٥.

والعمل الصالح؛ لأن اختلاف الناس في ألونهم ولغاتهم ليس من تلقاء أنفسهم ولا دخل لهم فيه، فلا يعامَلون على أساسه، ولا يحاسب العبد إلا على كسبه وما قدمته يداه، وهذا ما قرره الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمام رستم وجنده، فها هو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «والناس بنو آدم، فهم إخوة لأب وأم»، ويوضح الأمر أكثر فيقول: «ولكن المسلمون كالجسد الواحد يُجير أدناهم على أعلاهم»(١). وهذا يدلل على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقهوا أمر دينهم وعرفوا كيفية دعوة الناس على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم الدينية وحولوا الأدلة النظرية إلى واقع تطبيقي يستقي منه الدعاة على سائر العصور فقه دعوة غير المسلمين كي تسير الدعوة الإسلامية مسيرتها الحسنة لتؤتي أكلها بإذن ربها.

وبعد ذكر المهام المنوطة بالفاتحين تجاه رستم وقومه أنتقل إلى تحديد هدف الدعوة ورد الشبه المثارة حوله وذلك في ضوء المبحث التالي:

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٠، وينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٨، وينظر: تاريخ ابن خلدون، جـ ٢، صـ ٥٢٩.

## المبحث الثاني

## تحديد الهدف ورد الشبه

مما لا شك فيه أن الداعية إذا كان مؤمنًا بقضيته ملمًا بجميع نواحيها، فإنه يستطيع أن يحدد هدفه حال حواره مع الآخرين، ويقتنع الطرف الآخر إذا أضيف لذلك فصاحة اللسان ووجازة الكلام، وهذا ما كان من أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تجاه رستم حين سألهم قائلًا: «ما جاء بكم؟»(١)، فكانت إجابتهم واضحة الرؤية والمعالم، فهذا هو المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يجيب إجابة لا تحتمل تأويلًا، وذلك بقوله: «ما جئنا لطلب الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة»(٢)، ومثل هذا الجواب قاله كل من دخل على رستم، فهذا هو النعمان بن مقرن رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يجيب رستم قائلًا: «إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهين: مُكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كله، فإن أجبتم إلى ديننا خلَّفنا فيكم كتاب الله، وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم»(٣).

فانظر كيف أنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ استطاع إيصال هدفهم الأساس الذي قدموا من أجله من أقرب طريق وأوجز أسلوب، وعلى هذا المنوال ينبغي أن ينسج الدعاة دعوتهم، وبمثل هذا أخبر حذيفة بن محصن رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فقال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ منَّ علينا بدينه، وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث، فأيها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ويمنعكم إن احتجتم إلى

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.

(٢) المصدر السابق، جـ ٩، صـ ٦٢١.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٢، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٧، صـ ٣٧.

ذلك، أو المنابذة»[1].

وإن هذا الكلام الموحد أحدث ردة فعل إيجابية لدى رستم، وانبهر بأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدرجة أنه أفصح عما بداخله لقواده وجنوده وذلك بقوله: «أين هؤلاء منكم؟ ما بُعد هذا! ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم، ثم جاءكم هذا، فلم يختلفوا، وسلكوا طريقًا واحدًا، ولزموا أمرًا واحدًا، هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين! والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء! فلُجُّوا وتجلَّدوا وقال: والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم، وإن هذا منكم رياء، فازدادوا لجاجة»[2].

وهكذا، فإذا أراد الدعاة نجاحًا في دعوتهم وتوفيقًا في حسن عرضهم، فليكن شعارهم الوحدة واتفاق الكلمة وتجنب الخلاف الذي يأكل الأخضر واليابس والذي لا يصيب الدعوة إلا تأخرًا وتشوهًا.

**- قوة الحجة في رد الشبهة:**

بعد أن أثنى رستم على اتفاق كلمة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نكص على عقبيه، وصار يلقي التهم حول مادية هؤلاء الفاتحين، وأنه ما جاء بهم إلا الحرص على الدنيا والطمع في جمع المال فقال للمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم نزل متمكنين في البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرافًا في الأمم، فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا، نُنصر على الناس ولا يُنصرون علينا إلا اليوم واليومين، أو الشهر والشهرين، للذنوب، فإذا انتقم الله فرضي رد إلينا عزنا، وجمعنا لعدونا شر يوم هو آت عليهم، ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرًا منكم، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئًا ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٢.

(٢) المصدر السابق، جـ ٣، صـ ٥٢٢، وينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٩ - ٣٠٠.

بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين، وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم»(١).

وقال للمغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في مجلس آخر: «إنكم معاشر العرب قد عرفتم الذي حملكم على المجيء إلينا، أنتم قوم لا تجدون في بلادكم من الطعام ما تشبعون منه، فخذوا نعطيكم من الطعام حاجتكم، فإنا قوم مجوس وإنا نكره قتالكم»(٢).

فهذه شبهة قوية تحتاج إلى حجج قوية وبراهين قاطعة وأدلة دامغة، وإلا أُلصقت بهم التهم؛ لأن ضعف الحجة يقوي الشبهة حتى ولو كانت كبيت العنكبوت، غير أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على قدر المسئولية حال الحوار في التفنيد والرد والتوجيه، وهذا يدل على التأهل قبل التصدر، وإذا كان حديث رستم قد حمل في طياته شُبهًا فقد حمل إغراءً لنفوس القوم بعرضه المال عليهم، لكنه وجد نفسه أمام ملائكة في صورة رجال لا يشغلهم الدرهم والدينار، فقد أجابوا بقولهم رضوان الله عليهم: «اقبلوا نصيحتنا فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم»(٣).

وفي هذا إشارة لرستم وقومه أن الهدف الأساس من وراء تصرفهم وقدومهم: الدخول في دين الإسلام وأن النظر إلى الغنائم والأمتعة لا سبيل له إلى القلوب، وهذا يجعل المدعو مطمئن الفؤاد من أن الداعية لا ينظر إلى ما في يده، فيبدأ في التفكير فيما يُعرض عليه، ويطلب منه، ولا يلتفت ذهنه لأمر آخر؛ لأن الداعية بحصافة فكره وفراسة بديهته يسد عليه كل المنافذ التي قد يدخل منها الشيطان عليه أو نفسه الأمارة بالسوء، وهذا الحوار الفني الموجز البديع يدل على علم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأساليب عرض الدعوة وكيفية التخاطب مع الغير لا سيما إذا كانوا غير مسلمين وفي معرض تفنيد الشبه. فالقدرة على الحوار وتقاسم الكلام بينهم

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١، ٥٢٢، وينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المعروف بابن البيع، ت: ٤٠٥ هـ، جـ ٣، صـ ٥١٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م.

(٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨.

لم يأت من أول وهلة أو صدفة، بل بالتدريب المستمر الفعال للارتقاء لهذا المستوى الدعوي الفريد.

وبعد هذا الحوار الفني النظري قدم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دليلًا واقعيًا تطبيقيًا يثبت صحة زهدهم في متاع الفرس ويدحض افتراءاتهم، فقال المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدللًا على صدق مقالتهم وحسن نية سائر الفاتحين: «والله أن لو لم يكن ما نقول لك حقًا، ولم يكن إلا الدنيا، لما كان لنا عما ضَرِيْنا به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زبرجكم من صبر، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه»(١).

فقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدليل العملي على صحة ما يدعو إليه، فلو كانت الدنيا طريقنا ما انقطعنا عن هذا النعيم، ولأدرنا ظهورنا لدعوتنا حرصًا على جمع الدنيا والطمع فيها، فلما لم يحدث ذلك دل على صدق نواياهم وأن الدعوة إلى الإسلام بالحسنى هي أساس القدوم وعليها صار الحوار، وفيما سبق دلالة النجاح لمن أراد الاقتداء.

**- توحيد الجهود:**

إن توحيد الهدف لدى الدعاة يقصر المسافات، ويدني البعيد، وكلما كان الدعاة على قلب رجل واحد كان ذلك أدعى لانبهار المدعو، والاعتراف بإيجابية الدعاة.

أما أن يقول كل داعية أمرًا ينقض غيره من إخوانه الدعاة فهذا يبعثر الجهود ويبدد الطاقات، ومن ثم يفقد المدعو – لا سيما إذا كان غير مسلم – المصداقية لدى الجميع، والناظر للصحابة الفاتحين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حال حوارهم مع رستم يرى أن دعوتهم تصب في قالب واحد ويصل إلى هدف محدد مما دعا رستم إلى الثناء عليهم كما مر.

**- عدم التناحر:**

مما ينتج عن توحيد الجهود عدم الاختلاف والتشاجر المؤدي إلى الضعف، ويدل على التنسيق المحكم لدى الدعاة مما يسفر عن اتحاد الهدف، وإن اختلفت

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨، ٥٢٩.

العبارات، فالألفاظ مختلفة والمضمون واحد، وهذا مطالب به دعاة اليوم لا سيما في دعوة غير المسلم، كي يشعر بأن هذا الدين الإسلامي دين النظام والاستقامة ولا علاقة له بالتخبط أو التناقض.

- **الوصف بالرجولة:**

وهذا الوصف يدل على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ توافرت لديهم جميع مؤهلات النجاح في الدعوة والتسديد في حسن العرض، ومن أعلى مقامات الرجولة: أن يلزموا أمرًا واحدًا يعبر عن اتحاد كلمتهم، ووضوح رؤيتهم، واستقامة طريقتهم، وهذا ما فرض على رستم أن يُخبر حاشيته برجولة هؤلاء القوم؛ لأن توحيد الهدف يحوز على إعجاب المدعو.

- **مكابرة المخالف:**

لقد وصف رستم حاشيته بالمكابرة لما أنكروا الواقع، فقد أُعجبوا بتصرفات الصحابة قولًا وفعلًا غير أن الهوى سيطر على قلوبهم، وطغى الكبر على نفوسهم، فعمدوا إلى اللجاجة، كي لا يعترفوا بمزايا الصحابة وخصالهم الحميدة وخلالهم المجيدة رضوان الله عليهم.

وإذا كانت الأهداف قد وضحت والشبه قد رفعت فإن الداعية يعمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة كما في ضوء المبحث التالي:

## المبحث الثالث

## العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة

من الأمور التي تطرق إليها الصحابة رضوان الله عليهم حال حوارهم مع رستم وقومه، العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة، وتناول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمورًا شتى، فها هو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعمل على تصحيح مفاهيم القوم حول العزة والذلة، وأنه لا سبيل إلى التمكين في الأرض إلا من خلال اعتناق الإسلام دينًا، كما تحدث عن الإسلام أمام رستم بقوله: « هو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز، فقال له رستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله»(١).

فلقد رسم المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطريق الصحيح لمفهوم العزة والذلة، وأن الذلة قد تكون متحققة في العبد حتى وإن ملك الدنيا بأسرها، فالذلة هنا بمعنى الفقر القلبي الروحي لا الفقر الحسي المادي، وإن أصر العبد على حال الفقر القلبي اجتمع عليه كذلك شقاء الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ۝٧٢﴾ (٢)، بخلاف العبد المتطلع إلى التمكين والتوفيق دنيا وأخرى، فأول الخطوات اعتناق الإسلام دينًا، والحديث عن هذا الأمر بهذه الصورة أمام رستم ليدل على فقه المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث إنه فطن إلى ما يصبو إليه رستم من الحرص على الملك والتفاني في سبيله، فبيَّن له أن سبيل الحفاظ على ذلك لا يتحقق إلا في ضوء اعتناق الإسلام دينًا، والعمل به منهجًا، وفي هذا درس للدعاة أن يتعرفوا على طبيعة المدعو من حيث تفكيره وما يروم حوله ويسعى إليه كي يكون الخطاب موفقًا والحوار مسددًا والحديث مكتملًا، ويدل حوار المغيرة كذلك أن الفقر ما هو إلا من باب

(١) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

الابتلاء الذي اختبر الله به عباده وليس دليلًا على الذلة والانتقام حيث قال لرستم: «وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال، وضيق المعيشة واختلاف القلوب، فنحن نعرفه، ولسنا ننكره، والله ابتلانا بذلك، وصيرنا إليه، والدنيا دول، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، ويصيروا إليها»(١).

**ففي هذا الحوار الماتع الوافي دلالة على عدة أمور:**

١ – أن الفقر ليس دليلًا على سخط الله للإنسان، وهنا محاولة للفت نظر رستم إلى التفكير في أن غناه وملكه ليس دليلًا على رضا الله تعالى عنه، وبهذا العرض يحاول التفكير في حاله وطريقته وسيرة حياته، وهذا من الفقه العالي الصادر عن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ – أن الفقر ضمن الابتلاءات التي يبتلي الله بها عباده كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (٢)، وجاء ذلك صريحًا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (٣)، أما إذا وُعظ غير المسلم ونُصح فلم يقبل ولم يرجع، تحول الأمر في حقه من الابتلاء إلى الاستدراج، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٤)»(٥).

---

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١، ٥٢٢.

(٢) سورة الأنبياء جزء من الآية رقم ٣٥.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية رقم ١٥٥.

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٤٤.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده، جـ ٢٨، صـ ٥٤٧، حديث رقم (١٧٣١١)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

فعمل المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على التفريق بين الابتلاء والاستدراج حال الفقر، وأن الفقر بينهما كالليل والنهار، وهذا العرض الحسن يحفز رستم على النظر لحاله، فكان حوار المغيرة ذو شقين: شق الدفاع عن النفس وشق اعتبار الآخر.

٣ – أن صاحب الغنى لا يبقى على حاله كما أن الفقير لا يستمر على وضعه، وأن السعيد من كان مع الله حتى يكون الله معه في جميع أحواله، وقرر المغيرة ذلك بقوله: «والدنيا دول» وكأنه يطالب رستم بالنظر الاعتباري لتاريخ مَنْ سبق من الأمم التي عصت وعاندت فكان مآلها الزوال، فمن أراد الحفاظ على ملكه فليحذُ حذو أهل الإسلام، فالأمر في حقيقته يحمل ترغيبًا لا ترهيبًا.

**– اعتناق الإسلام شرط لقبول الأعمال:**

من أهم الأمور التي عمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على تصحيح مفاهيمها أثناء حوارهم مع رستم: أن مَنْ عمل عملًا فيه صلاح للبشرية ونفع للعباد فإن هذا العمل لا يصح ولا ينتفع به صاحبه إلا إذا كان موحدًا لله، مستسلمًا لأمره، منقادًا لأحكامه، وهذا ما قرره المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «أما عموده – أي الإسلام – الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة ن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله»(١).

وتصديق ذلك أن كل الآيات القرآنية المتحدثة عن قبول الأعمال الصالحة شرطت وجود الإيمان، فمن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾**﴾ (٢)، وإذا كان القرآن الكريم قد وضع هذه الحقيقة فإن السنة النبوية جاءت مؤكدة ذلك أيضًا، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قلت يا رسول الله ابن جدعان كان

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.

(٢) سورة النحل الآية ٩٧. وقد جاء ذلك القيد في مواضع متعددة، من ذلك الآية (١٢٤) من سورة النساء، والآية (١٩) من سورة الإسراء، والآية (١١٢) من سورة طه، والآية (٩٤) من سورة الأنبياء، والآية (٤٠) من سورة غافر.

في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[١]. ويعلق الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا الحديث فيقول: «معنى هذا الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافرًا وهو معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» أي لم يكن مصدقًا بالبعث، ومن لم يصدق به فهو كافر ولا ينفعه عمل، قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم أشد عذابًا من بعض بحسب جرائمهم»[٢].

وهذا كله يحمل على إذا ما وصلت إليه الحجة وعقلها، وإلا فكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [٣].

وفي الحقيقة: إن أسلوب المغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيه من الشفقة على رستم، حيث إنه أراد ألا تذهب أعماله التي يقدمها لشعبه سدى، بل أراد أن يحافظ عليها وتبقى له في موازين حسناته يوم العرض على الله تعالى، فالأسلوب يحتوي على الترغيب والشفقة وليس فيه أدنى نوع من اليأس والقنوط أو الترهيب، وهذا كله تمثل في اعتناق دين الإسلام والإقرار بما جاء فيه.

ويدل حوار المغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه ركز على الأصول والكليات دون التطرق إلى الفروع والجزئيات حال تصحيحه للمفاهيم، وهذا ما ينبغي على الداعية فقهه، حيث إن المدعو غير المسلم يختلف في أسلوب دعوته عن المدعو المسلم، بل البيئة لها ظروفها التي تجعله يفرق بين أصحاب البيئات المتعددة والديانات المتنوعة؛ لأن غير

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، صـ ١٣١، حديث رقم (٢١٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، جـ ٣، صـ ٨٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ سنة ١٣٩٢ هـ.

(٣) سورة الإسراء جزء من الآية ١٥.

المسلمين كل منهم له منهج خاص وأسلوب يختلف عن غيره حال دعوته إلى الإسلام.

وهكذا الحوار الجيد «فهو شكل من أشكال تلاقح العقول، مما لا بد معه أن تنتج أفكار جديدة وتتضح علاقات كانت مجهولة، وتبرز تفسيرات توضح ما كان مستغلقًا على الفهم، ويقدم معلومات كانت غائبة عن بعض أطراف الحوار»[1]. وهذا كله ما ظهر جليًا في حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم وقومه.

إذا تقرر هذا فإن من حق الداعية أن يضرب أمثالًا تنبه الخصم وتزيل عنه الغفلة ويرد أمثلته الخاوية عن الأهداف المرجوة، وذلك في ضوء المبحث التالي:

(١) السنة النبوية، رؤية تربوية، د/ سعيد إسماعيل علي، صـ ٤٠٦.

## المبحث الرابع
## مقابلة ضرب الأمثال بأقوى منها

لقد أراد رستم إضعاف عزيمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن معهم وإدخال الوهن على قلوبهم بضرب أمثال تشير إلى هزيمة الفاتحين في بلاد الفرس وقتلهم أو الاستسلام الذي نتائجه وخيمة، وأن هزيمتهم ستكون من حيث لم يحتسبوا وأن تخطيطهم سيكون فيه هلاكهم، فلقد ضرب لهم مثلًا بالذباب فقال للمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل. فقال من يوصلني إليه وله درهمان؟ فلما سقط عليه غرق فيه، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده، وجعل يقول من يخلصني وله أربعة دراهم؟»(١).

فأراد رستم تحقير شأنهم بأن ضرب لهم مثلًا بالذباب، لكن الداعية الحق يصبر على الأذى في الله تعالى، ولم يكتفِ رستم بذلك بل وصفهم بالمكر حين ضرب لهم مثلًا بالثعلب، فقال: «إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جُحرًا وهو مهزول ضعيف إلى كرم، فكان فيه يأكل ما شاء الله، فرآه صاحب الكرم، ورأى ما به، فرحمه، فلما طال مكثه في الكرم وسمن، وصلحت حاله، وذهب ما كان به من الهزال أشر، فجعل يعبث بالكرم ويفسد أكثر مما يأكل، فاشتد على صاحب الكرم، فقال: لا أصبر على هذا من أمر هذا، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلمانه، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم، فلما رأى أنهم غير مقلعين عنه، ذهب ليخرج من الجُحر الذي دخل منه، فنشب اتسع عليه وهو مهزول، وضاق عليه وهو سمين، فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم، فلم يزل يضربه حتى قتله، وقد جئتم وأنتم مهازيل، وقد سمنتم شيئًا من سمن، فانظروا كيف تخرجون»(٢).

ويلاحظ أن رستم صوب النظر في هذا المثل على الطعام والشراب والسمن، وهذا لم يكن مراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أبدًا، وهذا من الفهم الخاطئ المغلوط لدى

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٦، صـ ٦٢٣.
(٢) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٧.

رستم والذي قاده إلى تشبيه الصحابة بهذا المثل، وهو مثل يدل على الخسة والتحقير، وتوهين شأن الفاتحين، وأنهم لن يعدوا أن يكونوا كالجرذان، يُقتلون دون عناء أو مشقة، وهذا بلا شك من باب إحباط نفسياتهم وتشكيكهم في قدراتهم القتالية ومهاراتهم الدفاعية، ولكن هيهات، فقال لهم: «إن رجلًا وضع سلًا، وجعل طعامه فيه، فأتى الجرذان، فخرقوا سله، فدخلوا فيه فأراد سده، فقيل له: لا تفعل، إذا يخرقنه، ولكن انقب بحياله، ثم اجعل فيها قصبة مجوفة، فإذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها، فكلما طلع عليكم جرذ قتلتموه وقد سددت عليكم، فإياكم أن تقتحموا القصبة، فلا يخرج منها أحد إلا قتل، وما دعاكم إلى ما صنعتم، ولا أرى عددًا ولا عُدة»(١).

ورستم بضربه لهذه المُثل ظن أن القوم جبناء وأنها تعكر صفوهم، وتنغص معيشتهم، وتجعلهم يصغرون في أعين أنفسهم، وهذا من الحرب النفسية التي أراد رستم من خلالها إحداث هزيمة داخلية في نفوس الفاتحين، ولكن فوجئ رستم بحوار قوي يرد على أمثلته السابقة في ضوء مثال يبهر العقول، وكأن هذه الأمثلة لم تؤثر على نفسية الصحابة رضوان الله عليهم قدر أنملة فقالوا: «وأما ما ضربتم لنا من الأمثال، فإنكم ضربتم للرجال والأمور الجسام وللجد الهزل، ولكنا سنضرب مثلكم، إنما مثلكم مثل رجل غرس أرضًا، واختار لها الشجر والحب، وأجرى إليها الأنهار، وزيَّنها بالقصور، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها، ويقومون على جناتها، فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب، وفي الجنان بمثل ذلك، فأطال نظرتهم، فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم، استعتبهم فكابروه، فدعا إليها غيرهم، وأخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس، وإن أقاموا فيها صاروا خولًا لهؤلاء يملكونهم، ولا يملكون عليهم، فيسومونهم الخسف أبدًا»(٢). فكان مثال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أقوى من أمثلة رستم من جميع الوجوه، منها أنه احتوى على الأدب فلم يشبهوا غيرهم

(١) المصدر السابق، جـ ٣، صـ ٥٢٧.
(٢) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨.

بالذباب أو الجرذان، بل غضوا الطرف عن تشبيهات رستم السيئة الدنية وهو من باب مقابلة المسيء بالحسنى.

ومنها أنه اشتمل على تقريب المراد بأمر محسوس، فضرب المثل الحقيقي له دور كبير وشأن عظيم في تقريب المعاني المرادة للأذهان، وترسيخ المعارف لدى القلوب، وتوضيح المراد من المثل للقاصي والداني، لاسيما إذا كان مضروبًا بأمر حسي يشاهده الناظر، ويقره العاقل، ولا ينكره إلا الجاحد أو المكابر المعاند، يقول الإمام العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لضرب المثل شأن في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، فإن الأمثال تُري المخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد»(١).

وبمنهج الإسقاط يتضح أن كفران النعم وجحودها سبيل زوالها، وأن رفض الإسلام وتعاليمه السمحة يؤدي إلى استجلاب النقم الدنيوية والمقت الأخروي، وهكذا فإن حوار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع رستم كان يهدف إلى معانٍ سامية بخلاف أمثلته، فكانت تشير إلى السخرية والازدراء فحسب دون هدف مصيب.

إذا تقرر هذا، وعرف الداعية طبيعة المدعوين فإنه على مقدرة بوصف حالهم الدقيق، وهذا ما سيكون الحديث حوله من خلال المبحث التالي والأخير من هذا الفصل:

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبي محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥ هـ، جـ ٢، صـ ٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

## المبحث الخامس

## الوصف الدقيق لحال المدعوين

عندما يكون الدعية على دراية بطبيعة المدعوين وأحوالهم النفسية والاجتماعية فإنه يستطيع الحوار المثمر الذي يبهر الأسماع ويخطف الأبصار ويجذب العقول نحو ما أراده الداعية الحصيف، وهذا ما صنعه المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين دخل على رستم فوجده جالسًا على مكانٍ عالٍ، «فمشى إليه حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه وأنزلوه ومغثوه. فقال: كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قومًا أسفه منكم! إنا معشر العرب سواء، لا يستعبد بعضنا بعضًا إلا أن يكون محاربًا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم، ولكن دعوتموني اليوم، علمتُ أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن مُلكًا لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول»(١).

فانظر كيف أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استطاع الحوار معهم في ضوء طبيعة تعاملهم مع بعضهم البعض دون تجنٍ أو افتراء أو مجاملة، والناظر في هذا الحوار يستخرج منه عدة أمور دعوية على النحو التالي:

١ – أن الزينة الفاخرة والمتاع الكثير لا يصنع عقولًا ولا يقدم نصرًا لأصحابها، بدليل أن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصفهم بالسفه، وقلة العقل، وقد وقع وصفه في محله، والداعية الفطن في مثل هذه المواقف لا ينظر إلى الحضارة المادية ولا يفتتن بها، بل يصوِّب النظر ويدققه حول العقول والأفكار، وهذا يدل على الاختيار الأحسن والأمثل للداعية القائم بمهمة الدعوة، فقد أرشد أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اختيار الكفاءات لعرض دعوة الإسلام على رستم وقومه، فكتب إليه: «لا يكربنك ما يأتيك عنهم

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١، وينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٩ – ٣٠٠.

ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليهم رجالًا من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينًا لهم وفلجًا عليهم»(١).

٢ – استخدام منهج المقارنة: عندما يريد الداعية إظهار إيجابيات وسلبيات قوم فإنه يعمد إلى مقارنتهم بغيرهم لتظهر الأوجه الفارقة في الحسن والقبح، وهذا ما صنعه المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين أيدي القوم، فبعد أن وصف علو الفرس وتكبر بعضهم على بعض بيَّن أن العرب مع فقر بلادهم وقلة حيلتهم لا يستعبد بعضهم بعضًا، فكيف بكم وأنتم تدَّعون الحرية والتقدم الحضاري يتحكم بعضكم في بعض إلى درجة الاستعباد؟! ومثل هذه المقارنة الدعوية من الداعية الحكيم حركت مشاعر القوم وأثرت على عواطفهم مما جعلهم يفصحون عما بداخلهم ويعلنون عما كتموه سنين طوال، فقال الضعفاء والعبيد منهم: «صدق والله العربي»(٢). وهذا يدل على أن معرفة طبيعة النفوس تؤهل الداعية للنجاح ويصيب الهدف من أقرب مكان ويصل للمأمول من أقرب طريق، بينما قال كبار القوم وسادتهم: «والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة»(٣).

وهذا يدل على أن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصاب كبد الحقيقة، وإلا لم يكن لكلام كبار القوم معنى، وفي الوقت ذاته أعجبوا بحواره، فقد وجدوا الفطانة تتدفق في كلماته، والذكاء في صوته ونبراته، لذا عابوا على أجيالهم السابقة تحقيرهم شأن العرب، وهذا سياق يدل على إعجابهم بحوار المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالداعية يؤثر في المجالس التي يحضر بها، ولا يكون وجوده كالعدم، ولما رأى رستم تأثير كلام المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على السادة والضعفاء من قومه وظهر ذلك جليًا على وجوههم وخفي أن يتفلتوا من مجلسه وينفضوا من حوله عمد إلى ممازحة المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٢.
(٢) المصدر السابق، جـ ٢، صـ ٢٩٩.
(٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١، ٥٢٢.

ليُذهب ما علق بقلوب القوم من كلامه الذي أصاب فطرتهم، فقد جاء في رواية الطبري: «فمازحه رستم ليمحو ما صنع، وقال له: يا عربي، إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك، فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق»(١).

٣ – الإيجاز والوضوح: إن الناظر في وصف المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرستم وجنده يرى أنه قد جمع بين الإيجاز غير المخل، والوضوح الذي لا لبس فيه ولا غموض، وهذا ينبغي أن يتربى عليه الدعاة؛ لأن النفس تمل من الحشو الزائد دون فائدة منه، كذلك أن يتحين الداعية الفرص قبل أن ينشغل المدعو بدنياه لا سيما إذا كان مسئولًا عن إدارة شئون قومه، كما صنع المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رستم من إيجاز الألفاظ ووضوح العبارات، فقد كان رستم قائدًا لجيوش الفرس، فكثرة الحديث معه لن تفي بالمطلوب، بل الإعراض سيكون سمته، والتغافل هديه، فكان من الحكمة العمل على الإيجاز والاختصار الملبي للمطلوب.

إذا تقرر هذا، فماذا عن شخصية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الدعوية حال حوارهم مع رستم؟ هذا ما سيدور الحديث حوله في ضوء الفصل التالي:

(١) المصدر السابق، جـ ٣، صـ ٥٢١ – ٥٢٢.

## الفصل الثاني

## الشخصية الدعوية الناجحة من خلال حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم

**ويتكون من ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** التزام الصدق.

**المبحث الثاني:** سرعة البديهة.

**المبحث الثالث:** عزة النفس.

## الفصل الثاني

**مدخل:**

مما لا شك فيه أن كل داعية يهدف إلى النجاح في دعوته، والنبوغ في رسالته، والتوفيق في مهمته، وكي يحقق هذا على أرض الواقع بين المدعوين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، ينبغي عليه أن يختط لنفسه السمات العامة والملامح الرئيسة التي بسببها ترتقي دعوته، وتتكون شخصيته، وتتأثر به بيئته ومجتمعه، حتى يكون سبب هداية للمدعوين على اختلاف أديانهم وأعرافهم.

والناظر لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثناء حوارهم مع رستم يرى أنهم تميزوا بصفات شخصية وسمات إيجابية أهلتهم للوقوف حال الحوار موقف الصامد الشامخ، فقد جمعوا في دعوتهم بين المنهجية الدعوية والشخصية المتميزة الفريدة التي ينبغي على الأجيال من الدعاة في كل عصر الاقتداء بهم والتأسي بصفاتهم.

ومن هنا يتوجه الباحث إلى المبحث الأول من هذا الفصل والذي هو بعنوان: «التزام الصدق».

## المبحث الأول

## التزام الصدق

من مقومات نجاح الداعية في دعوته والتفاني في عرضها بصورة حسنة والإصرار على نجاة المدعوين التزام الصدق، والصدق مفهوم واسع لا ينحصر في شيء دون آخر فهو يتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال(١)، وعلى قدر صدق الداعية يكون التوفيق وإحراز النتائج في دعوته، فضلًا عن علو منزلته وسمو مكانته، فهو بعد الأنبياء في درجاتهم كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩**﴾ (٢).

والناظر لأحوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وسيرهم حال الدعوة يرى أنهم وصلوا لأعلى المقامات وأسمى الدرجات لمنزلة الصدق، وهذا بلا شك أثَّر في المدعو حتى وإن لم يكن مسلمًا؛ لأن الصادق تستريح إليه النفوس وتهدأ به القلوب وتأنس به المجالس، وهذا ما حدث للصحابة الفاتحين للقادسية أمام رستم وقواده الفرس، فها هو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له رستم: «أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة»(٣).

فيلاحظ وضوح الإجابة على لسان المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعدم احتمالها لتأويلات؛ لأن المقام مقام دعوة، فالأمر يحتاج إلى صدق الكلمة ووضوح العبارة، ثم أكد على صدقه بالحلف بالله تعالى، وهو لا يحتاج إلى الحلف، لكن القسم يعمل على طمأنة قلب المدعو حال حواره، وقد يكون السؤال الصادر من رستم على سبيل الاختبار،

---

(١) وممن أشار إلى ذلك: ابن القيم في كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، جـ ٢، صـ ١٠٦، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ سنة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.

(٢) سورة النساء الآية ٦٩.

(٣) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.

وهنا أيضًا تفوق المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الإجابة ونفى كل الشكوك والوساوس التي تطرأ على قلب رستم وفكره نحو هؤلاء الفاتحين.

ولم يقتصر الأمر على المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث إن كل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تربوا على مائدة واحدة وأخذوا أخلاقهم من مشكاة واحدة، على يد معلم البشرية ومربيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا هو ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول قول الصدق وينطق بالعبارة الحق حين قال لرستم: «فأرسلنا الله بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبِل منا قبِلنا منه ورجعنا عنه»[1]. وهذا الصدق حمل رستم على الإعجاب برأيه وكاد أن ينزل على قوله غير أن نفسه المعانِدة الأمارة بالسوء، وشياطين الإنس من حوله قد حالت بينه وبين قبول منحة الله له، لكن يكفي ربعيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أجاد الحوار وصدق في التعبير حيث إن ما يخرج من القلب يصل إلى القلب دون مشقة أو عناء، وقد سار على منوالهما ومشى على دربهما في صدق الكلمة النعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حاور رستم قائلًا: «ندعوكم إلى الإسلام وحكمه، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلَّفنا فيكم كتاب الله»[2].

فالاتفاق على مضمون واحد وإن اختلفت العبارات يدل على الصدق؛ لأنه لا يتواطأ أمثال هؤلاء على الكذب أو التدليس. والناظر لحال الصحابة أيضًا يجد أن من صدقهم تقديم الدعوة إلى الإسلام على فرض الجزية أو نشوب القتال، وهذا ملاحظ في كل الحوارات التي دارت بين رستم وبين الصحابة المرسلين إليه، فعلى سبيل المثال لما بدأ النعمان بن مقرن الحوار مع رستم بدأه بالدعوة إلى الإسلام، ثم ثنى بالجزية، ثم ثلث بالقتال حال الصد والمكابرة فقال: «وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزى، فإن فعلتم وإلا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم»[3]. وقد دل الواقع على صحة ما قالوه وأعلنوه، فلم ينشب

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨.
(٢) المصدر السابق، جـ ٣، صـ ٥٢٨.
(٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨.

القتال إلا بعد أن رفضوا الدخول في الإسلام، وأبوا دفع الجزية، وهنا لم يكن أمام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من خيار إلا العمل على تأديبهم(١).

ولم يكتفِ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بإعلان الدعوة إلا الإسلام أولًا فحسب، بل صرحوا بوضوح أنه أحب إليهم من الجزية والقتال، وهذا يدل على الصدق في الدعوة، حيث قال النعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضحًا هذه الحقيقة في حواره مع رستم «فاقبلوا نصيحتنا، فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم»(٢)، وهذا أسلوب فني بليغ يأخذ بيد المدعو إلى طريق واحد هو صدق هؤلاء في دعوتهم وتجردهم عن حظوظ الدنيا وهوى النفس.

وتقديم الدعوة إلى الإسلام حال تخيير رستم بين الإسلام أو الجزية أو القتال لم يكن لمجرد التقديم فحسب، بل من صدق الصحابة أنهم أعلنوا حبهم لقبول الإسلام وان العافية فيه دون غيره، كما قال له المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك، وبعضنا من بعض»(٣).

ولفظ العافية يشتمل على صدق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حيث:

أ – نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تمني لقاء الأعداء، حيث قال: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية»(٤)، ونفس اللفظ الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو نفس العبارة اتى استخدمها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في حوارهم مع رستم وجنده.

ب – حب الحصول على أجر مَنْ آمن منهم، حيث إن من صدق الصحابة في

(١) وينبغي لفت النظر لأمر مهم وهو: أن مَنْ كان على غير الإسلام من المسيحيين مثلًا في مصرنا الحبيبة فإنهم لا يطالبون بالجزية؛ لأنهم يشتركون معنا في الدفاع عن هذا الوطن، ويؤدون مهمتهم في الخدمة العسكرية على أكمل وجهٍ وأحسنه، لأن الجزية فرضت على من يحتاج الدفاع عنه، وهم أصلًا عضو هام في منظومة الحفاظ على الوطن فلا حاجة إلى جزية أو غيرها.

(٢) المصدر السابق، جـ ٣، صـ ٥٢٨.

(٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٥، ٥٢٦.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب كراهية تمني لقاء العدو، جـ ٤، صـ ٤٠٠، حديث رقم (٧٢٣٧)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، صـ ٩٢٦، حديث رقم (١٧٤٢).

دعوتهم: حرصهم على اغتنام أجر مَنْ وُفق إلى الإسلام على أيديهم استنادًا لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأن يهدي الله بك رجلًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم»[1]، وهذا هو الأصل الذي دفع الصحابة إلى تحمل المشاق ومكابدة الأسفار.

جـ – حزنهم على مَنْ يموت على غير ملة الإسلام بعد وصول هداية الله إليه وإقامة الحجة عليه، وقد اقتدوا في هذا الشأن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث وصف القرآن الكريم موقفه من إعراض قومه بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾[2].

* ومن صدقهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إعراضهم عن الزينة التي يعيش فيها رستم وقومه؛ لأن الزهد كان من أهم سماتهم ومن أشهر خصالهم، وهذا يدل على الصدق في الدعوة، فهذا هو ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبى أن يجلس على النمارق المذهبة حال حواره مع رستم، ولما سئل عن سر ذلك قال: «إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه»[3]، فلو كانت الدنيا همهم لركنوا إلى متاعها، غير أن صدقهم في الدعوة نجاهم من فتنها وزينتها.

*** ومن أهم الأمور المعينة على صدق الداعية قولًا وفعلًا وحالًا ما يلي:**

(١) النية الصادقة: فكلما كان الداعية على نية حسنة واستحضارها حال الدعوة كان ذلك أدعى لقول الصدق، لأن النية الحسنة تورث صاحبها الخشية من الله تعالى، فيتأهب الداعية لقول الحق حتى ولو ظن أن فيه الهلكة، لأنه يؤمن بموعود الله تعالى بنجاة الدعاة الصادقين، وهذا ما صنعه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل مَنْ أسلم على يديه رجل، جـ ٢، صـ ٢٥٤، حديث رقم (٣٠٠٩)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صـ ١٢٦٨، حديث رقم (٢٤٠٦).

(٢) سورة الكهف الآية رقم ٦.

(٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٠.

حال حوارهم مع رستم إذ إن نيتهم الحسنة في دعوة الناس إلى الإسلام وإخراجهم من ظلمات الكفر والجاهلية إلى نور التوحيد والعدل حملتهم على قول الصدق دون الحرج من لومة لائم أو إعراض معترض أو تهديد معاند.

(٢) الاقتناع بالدعوة: عندما يكون الداعية على إلمام كافٍ بدينه وطرق الدعوة إليه، فإنه يتفانى في عرضه بأهم صورة وأحسن عبارة، ويحرص كل الحرص على عدم الظهور بمظهر المتناقض، وهذا لا يتم إلا في بيئة الصدق، ولا يظهر إلا على جوارح الصادقين، كما كان حال الصحابة أثناء حوارهم لرستم، فقد كانوا على قناعة تامة وكاملة بما يدعوا إليه، وهذا ورثهم الصدق، ولم يتزحزحوا عن قوله قدر أنملة سواء عمد المدعو إلى استخدام الزينة والمتاع في إغرائهم أم استعمل التهديد ليثنيهم عن دعوتهم. وبهذا يتضح أن صدق الداعية يجعله مطمئن الفؤاد منشرح الصدر في كافة أحواله وفي جميع أوضاعه، ثابت الجنان، بخلاف من لم يقتنع بدعوته، فإنه إذا أصيب ببلاء أو تم تعكير صفوه، فإنه يعمد إلى الكذب مباشرة للخروج من مأزقه، وهذا ما تنزه عنه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حوارهم مع رستم، ويتنزه عنه كل داعية صادق في كل عصر ومصر.

(٣) النظر للعواقب: عندما ينظر الداعية إلى حال الصدق في الدنيا، فإن ذلك يحفزه على استكمال مسيرة طريق الصدق، حيث إنه يوافق الفطرة، ويبهر العقول، ويكسر كل ألوان العناد في المحاورات، وقد وصف ابن القيم الصدق بهذا الصدد فقال «هو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه. من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال»[١]، وبإسقاط هذا الكلام الحسن على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، جـ ٢، صـ ٢٥٧.

تحاوروا مع رستم يتضح أنهم قطعوا عليه كل الطرق، وأقاموا عليه كل الحجج، ونفوا عن الدعوة وعن أنفسهم كل التهم، حتى انبهر بهم وأثنى عليهم في محافله ومجامعه قائلًا: «والله هؤلاء هم الرجال صادقين كانوا أم كاذبين»(١).

فانظر إلى عاقبة صدق الداعية في الدنيا، يأسر القلوب بحديثه، ويخطف الأبصار بعذوبة منطقه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه دعاة اليوم، وأما عاقبته في الآخرة فالفضائل كثيرة والخصال عديدة، ويكفي أن الصدق ينفع صاحبه ويكون في موازين حسناته كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ (٢).

فمثل هذه المكاسب الدنيوية والأخروية جراء الصدق تحفز الداعية على التزامه قولًا وفعلًا وحالًا كما التزمه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل أحوالهم عامة، وفي دعوتهم رستم وقومه خاصة، ففازوا ووفقوا دنيا وأخرى.

هذا، وإذا كان الصدق والتزام الداعية به يورث نقاء النفس وصفاء القلب، فإن هذا بدوره يؤهبه ليكون حاضر الذهن، جيد القريحة، سريع البديهة حال الحوار مع المدعو، وهذا ما سيتم الحديث عنه في ضوء المبحث التالي:

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٣، ٥٢٤.
(٢) سورة المائدة، الآية ١١٩.

## المبحث الثاني
## سرعة البديهة

من الأمور التي لا تفارق الداعية في حله وترحاله سرعة بديهته وحضور ذهنه، فهذا يجعله ثابت الجنان، شجاع المواقف، متخلصًا من العقبات بأجمل الألفاظ وأعذب المعاني، وسرعة البديهة منحة ربانية وعطاء لدني يقذفها الله تعالى في قلب من قرُب منه وأخلص إليه وسعى لمرضاته سرًا وعلنًا، والناظر لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمومًا ومن قاموا بالفتوحات الإسلامية خصوصًا يجد أن سرعة البديهة كانت سمة يعرفون بها ومنهجًا يتعاملون به، ذلك لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شاهدوه، وأن الوحي قد عاينوه، وأن العمل قد أتقنوه، فازدادت بصائرهم وعلت أفكارهم، وصفت قلوبهم، فأعطاهم الله تعالى من جودة القريحة وحسن السيرة وسرعة البديهة ما لم يعطه لأحدٍ بعدهم، وهذا ما ظهر جليًا في مواقفهم حال دعوتهم رستم وقومه، فلقد أُعجب جميع الفرس بما منحهم الله تعالى من سرعة التفكير مع صحة الرد، فهذا هو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دخل على رستم ومعه ما يتحصن به، فقال له رستم: «ما هذه المغازل التي معك؟ فقال: ما ضر الجمرة ألا تكون طويلة! وسأله: ما بال سيفك رثًا؟ قال: رث الكسوة حديد المضربة»(١). وهنا وجد رستم نفسه أمام أناس لا نظير لهم في البيان، ولا شبيه لهم في ثبات الجنان، وانبهر بشخصية المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واندهش من فرط ذكائه حتى قال لقواده لما قالوا له: «أما ترى إلى ثيابه، فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب»(٢).

فسرعة بديهة المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطفت قلب رستم واستحوذت على فؤاده مما جعله تلقائيًا يثني عليهم دون أن يشعر، وقد شبه المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سلاحه بأنه كالجمرة التي إذا سقطت على شيء أحرقته، وإذا اقتربت من جسدٍ شوهته، كذلك

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١، ٦٢٢، وينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٨، وينظر: تاريخ ابن خلدون، جـ ٢، صـ ٥٢٩.

وصف سيفه بأنه حديد المضربة فلا انكسار له ولا فرار لصاحبه، وهذا يدل على أن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جمع بين ثبات الجأش وحضور الذهن، وقد وضع نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ (٢). فالتربية الروحية والزاد الإيماني رصيد كبير للداعية لا يستطيع أن يعيش بمعزل عنه.

وقد تكررت سرعة البديهة وجودة القريحة مع المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حوار آخر له مع رستم، حيث قال له رستم بعد أن نفذت حجته، وضعف موقفه: «إذن نقتلكم. قال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة، وإن قتلناكم دخلتم النار»(٣).

فمثل هذا التهديد الصادر عن رستم – وهو عادة كل جبار عنيد يلجأ إليه بعد انقطاع حجته – يحتاج إلى رد يردعه وغلى جواب يقنعه، وإلى حوار يبهته، فكان رد المغيرة أبلغ رد وأوجزه وأفصحه.

وكذلك من حضور بديهته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما دخل على رستم وجلس بجواره فصاح القوم واستنكروا صنيعه هذا، فكان رده مقنعًا وأعجب به رستم حيث قال لهم: «إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم، فقال رستم: صدق»(٤). ومثل هذه المواقف تدل على قوة إيمان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث إنهم وُفقوا لسرعة البديهة وذلك لأجل ارتباط علاقتهم بالله تعالى وعدم هيبتهم من رستم وقومه، فحملهم ذلك على التروي لاستخراج أحسن الردود وأوجَه المعاني اللائقة بالمقام. ولم يكن الأمر مقتصرًا على المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده، بل كانت سرعة البديهة سمة جميع إخوانه الذين تحاوروا مع رستم، فهذا هو زهرة بن الحُويَّة أجاب إجابة سريعة حين قال له رستم: «أنتم جيراننا، وكنتم تأتوننا وتطلبون منا الطعام، وكنا نعطيكم ولا نمنعكم، وكنا نحسن

(١) سورة الأنفال، جزء من الآية ١٧.
(٢) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٤٩.
(٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٤٩٦، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ٩، صـ ٤٢٦.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير، جـ٩، صـ ٤٢٣.

جواركم، وكنتم تأتوننا ولا نمنعكم من التجارة في أرضنا، فلم جئتم الآن تحاربوننا؟ فتبسم زهرة وقال: صدقت في قولك عمَّن كانوا قبلنا، فلقد كانوا يطلبون الدنيا، ولكن نحن نطلب الآخرة! كنا كما تقول حتى بعث الله إلينا رسولًا، وأنزل عليه كتابًا، فدخلنا معه في دينه»(١).

فانظر كيف أن زهرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ردَّ بجواب لم يكن يتوقعه رستم، فقد نفى جميع الشبه عن الفاتحين، وبيَّن أن هذه الأوصاف المذكورة كانت للأسلاف من الأجداد، وهذا كله بأسلوب وجيز، وحضور ذاكرة قوية، وبالتأمل لحال سائر مَنْ شهدوا القادسية يظهر أن الله تعالى وفقهم للردود القوية، والبيان المفحم، فهذا هو أيضًا ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما توعَّده رستم بالقتل حين قال له: «قد تموتون قبل نصركم»، فأجاب ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إجابة شافية تدل على حضور الذهن وجودة القريحة قائلًا: «وعدنا الله عَزَّوَجَلَّ أن الجنة لمن مات على ذلك، وأن الظفر لمن بقي»(٢).

فقد تحدث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مصير الفاتحين بأنهم على كل حال من أهل الجنة سواء ممن رزقهم الله تعالى الشهادة أم النصر، وهذا أسلوب بليغ يصف المشاهد المستقبلية للمعركة حال عناد رستم وقومه، وفي الوقت ذاته هو إدخال اليأس عليه إن استمر على موقفه من الصد، بأنك لن تنال من الجيش الإسلامي الفاتح ما تريده؛ لأن إحدى الحسنيين عاقبته، وهذا يدل على سرعة البديهة وحضور الذهن لدى هذا الحوار الماتع المقنع الهادف.

وبإسقاط ما تميز به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حضور الذهن وسرعة البديهة على دعاة اليوم فإنهم بحاجة إلى التأسي بهم والاقتداء، لا سيما وهم على المنابر ووقت إلقاء الدروس، فلو اعترض أحد المستمعين ولم يجد ردًا يقنعه أو جوابًا يشرح صدره، فإن هيبة الداعية تضعف في أعين المدعوين لا سيما المتخصصين منهم، وتزداد أهمية حضور الذهن لدى الداعية حال المحاورات والمناظرات العلمية التي

(١) ينظر: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، جهاد الترباني، صـ ٣٥٧، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١ سنة ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

(٢) المصدر السابق، صـ ٣٥٧.

تتطلب قلبًا واعيًا، وعقلًا مستنيرًا، مع المسلمين عمومًا، ومع غير المسلمين خصوصًا؛ لأن المسلم قد بنى حياته على السمع والطاعة والإذعان فلا يُجهد الداعية معه، بخلاف غير المسلم فإنه يُبدي اعتراضات، ويناقش في المسلمات، فدعوته تتجه نحو الجدال والتفنيد والتدقيق والتنقيح، وهذا يتطلب حضور الذهن كي يستطيع الداعية الوصول بالمدعو للصواب من أقرب طريق، فسرعة البديهة «وصف لازم للخطيب المصقع؛ لأن الخطيب إنما هو بمثابة المعلم الموجه، ومن مقومات ذلك سعة الإدراك، وسرعة الفهم وإصابة التأويل»(١).

وهذا ما تميز به أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام «فمعايشتهم للوحي وصاحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما آتاهم الله تعالى من سلامة الفطرة وصحة الفهم وحضور البديهة، جعلتهم أصدق الناس نظرًا وأقلهم تكلفًا وأحسنهم هديًا، فإن سئلوا عن أمر كان جوابهم أوجز بيان وأشفاه وأبينه، إن لم يكن من ذات نور الوحي فهو قبس من مشكاته»(٢).

وهذا الذي وصل إليه الصحابة رضوان الله عليهم من سرعة البديهة قد استقوه من مواقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ذكر الإمام القسطلاني عند حديث «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا»(٣) ما يعضد حضور الذهن فقال: «ولم يطلب عليه الصلاة والسلام رفع المطر من أصله، بل سأل رفع ضرره، وكشفه عن المرافق والبيوت والطرق، بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل، بل سأل إبقاءه في مواضع الحاجة؛ لأن الجبال والصحاري ما دام المطر فيها، كثرت الفائدة فيها في المستقبل من كثرة المرعى والمياة وغير ذلك من المصالح، وفي هذا دليل على قوة إدراكه عليه الصلاة

(١) تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، د/ عبد الرب بن نواب الدين آل نواب، صـ ٣٠٨، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط العدد ١٢٨ لسنة ١٤٢٥ هـ.

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الناشر: دار الكلمة، صـ ١٢٩، ط ١ سنة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب الاستسقاء، بَابُ مَنْ تَمَطَّرَ فِي المَطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ، جـ ١، حديث رقم (١٠٣٣).

والسلام للخير على سرعة البديهة»[١].

*** ومن الأمور المعينة على تحصيل سرعة البديهة:**

١ – **كثرة التعايش مع الآخرين:** فعندما يكون الداعية ملمًا بأحوال المدعوين، عارفًا بطبائعهم، عالمًا بنمط حياتهم، فإنه يكسبه سرعة البديهة؛ لأنه علم ما يرجونه وما يحذرون منه، بخلاف الداعية المنعزل عن محيط بيئته، فإنه يُضيع على نفسه الفرص، حيث إن كلامه لن يتناسب مع المدعوين على اختلاف أعرافهم بل وأديانهم بحكم انعزاله، فيفقد حضور الذهن حين يحتاج إليه، فعلى قدر التعايش المنضبط يكون التأثير والتأثر، وبما أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تفرقوا في الأمصار، واشتركوا في الفتوحات، واستُدعوا لحل المعضلات، فقد أكسبهم ذلك سرعة البديهة وجودة القريحة، أمام مَنْ يحاورون كما صدر من أصحاب القادسية تجاه رستم وقومه.

٢ – **الاستماع الجيد:** إن الداعية مأمور بحسن الإنصات كما أُمر بجودة الحديث؛ لأن الاستماع الجيد حال الحوار يورث الرد الجيد، فعندما تنصت لمن تحاوره دون مقاطعة أو تشويش فإنك تستطيع أن تقرأ المشهد، وتفهم عقله وما يرمي إليه، ويتسنى لك معرفة كل ما في جعبته، وتقف على حقائق لا تصل إليها إلا من خلال العمل على حسن الاستماع، وهذا ما كان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعندما كان رستم يتحدث عن مآثره ومفاخره وأحوال دولته وعرض قوته لم يقاطعوه، ولم يشوشوا عليه، ومن ثم استطاعوا إفحامه وإقناعه وإن لم يهتدِ، فهداية التوفيق بيد الله تعالى وحده، لكن كفاهم أن وُفقوا لهداية الدلالة والإرشاد والبيان.

٣ – **التدريب على الأسئلة وطرق الإجابة:** إن الداعية عندما يمرن نفسه على نمط التدرب على الأسئلة وكيفية إيجاد الحلول المناسبة والسريعة فإن هذا يورثه حضور الذهن وصفاء النفس للعمل على الردود العلمية والأجوبة الشافية الكافية

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، جـ ٢، صـ ٢٥٤، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، ط ٧، سنة ١٣٢٣ هـ.

حال حواره مع غيره سواء أكان ذلك في محفل علمي أم حوار جدلي أم نقاش عقلي، وقد ذكر أحد الباحثين فوائد استعمال السؤال في استحضار الذاكرة فقال ما ملخصه: «دفع الداعية إلى التفكير العميق في جوانب الموضوع الذي يزمع القيام بمناقشته، وتشجيع روح النقد الذاتي لديه لمراجعة أفكاره وخبراته بين الحين والآخر، واكتساب اليقظة والثقة بالنفس، وحضور البديهة، والاستعداد لحل المشاكل حلًا سريعًا وموفقًا»(١).

وقد تعود أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرد على الأسئلة التي كان يلقيها على مسامعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، لينشط أذهانهم وليختبر قدراتهم وسعة إدراكهم، فنفعهم ذلك أيما نفع حينما حاوروا الشخصيات القيادية حال الفتوحات، كما حدث من أصحاب القادسية مع رستم وقواده وجنوده، فكانت سرعة البديهة سمتهم، وقوة الذاكرة هديهم.

ومما هو معلوم أن التزام الصدق وحضور الذهن حال المحاورة يورثان الداعية عَزَّوَجَلَّ النفس ورباطة الجأش، وهذا ما اتصف به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أثناء حوارهم مع رستم، وهو ما سيتم الكشف عنه في المبحث التالي:

(١) السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، د/ أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، صـ ٢٥٦ – باختصار، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة الثالثة والثلاثون، العدد ١١١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

## المبحث الثالث

## عزة النفس

عندما يكون الداعية صاحب رسالة وهمة عالية فإنه يعتز بهذا الأمر ويورثه العزة في حديثه وحواراته؛ لأن الإسلام يربي في قلوب أتباعه عزة النفس وعدم الخنوع والضيم، وهذا ما صنعه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال حوارهم مع رستم، فقد ظهرت كل معاني عزة التمسك بالإسلام والدعوة إليه على ألسنتهم وتصرفاتهم فهذا هو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أعطاه الله تعالى الحكمة بوضع الشيء في موضعه، حيث إنه علم أن لكل حادث حديثًا، ولكل مقام مقالًا، ولكل قوم أسلوبًا، فعمل على استظهار العزة حال الحوار مع رستم حين قال له: «وإن احتجت إلينا فكن لنا عبدًا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر، وإلا فالسيف إن أبيت»(١).

فانظر إلى عزة الداعية الحق المؤمن بقضيته التي يدعو إليها وينافح عنها ويدافع من أجلها؛ لأنه علم أن العزة محصورة في أهل الحق والعدل كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢). وفي هذا إشارة دعوية: أن الداعية يكون عزيزًا بدينه وبالدعوة إليه، وألا يخشى في الله لومة لائم، وقد طبق المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهجًا قرآنيًا دعا إليه رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حين وصف المؤمنين وعلى رأسهم الدعاة بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٣).

ومن صور المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا حال حواره مع رستم أن قدم له النصح في ثوب العزة والمنعة وذلك بقوله: «إن أميرنا يقول لك: إن الجوار يحفظ الولاة، وإني أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض، إلا أن داركم لكم، وأمركم فيكم، وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا، وكنا لكم عونا على أحد إن أرادكم أو قوي

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٢، وينظر: الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٩ – ٣٠٠.
(٢) جزء من الآية ٨ من سورة [المنافقون].
(٣) جزء من الآية ٥٤ من سورة المائدة.

عليكم واتق الله يا رستم، ولا يكونن هلاك قومك على يديك، فإنه ليس بينك وبين أن تغبط به إلا أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك»[1].

**وقد تعددت صور العزة في هذا الحوار على نحو ما يلي:**

- قوة خطاب المغيرة وشدة حواره، وثبات موقفه، وصلابة رأيه، وقوة حجته، وعدم اهتزاز شخصيته؛ لأن الداعية الحق لا يهاب الباطل وأهله، فقد ناداه باسمه مجردًا كما في قوله له: «واتق الله يا رستم»، وهذا يُحمل على وضع رستم من العناد والمكابرة بعد إقامة الحجة عليه، وإلا فالأصل التلطف واللين وإنزال الناس منازلهم ومناداتهم بألقابهم، لكن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان حكيمًا في تصرفه، سديدًا في ألفاظه، مدركًا لأفعاله، حيث وضع الشيء في موضعه، فالتلطف له موقفه والعزة لها موضعها.
- التصور الواضح والفراسة القوية في نتائج المعركة إن عاند رستم، فقد أخبره المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالهلاك حال العناد والصد، قائلًا له: «ولا يكونن هلاك قومك على يديك»، وهذا يدل على استظهار شجاعة الفاتحين وأنهم على استعداد للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الدعوة إلى الإسلام، وأن مَنْ كانت هذه صفاتهم كان التوفيق حليفهم والهزيمة من نصيب أعدائهم، وأيضًا فقد حرك بكلامه مشاعره الداخلية وعوطفه الكامنة كي لا يكون شؤمًا على قومه وأرضهم وفي هذا حرص المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أمان الرعية وعدم الدخول في غمار المعارك إلا إذا أصر القوم على العناد والصد، ولم تكن العزة سمة المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده بل اتصف بها كل مَنْ دخل على رستم من إخوانه الدعاة، فهذا هو ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد الدخول إلى رستم عمد إلى سلاحه ورفض تركه حال الدخول عليه «فقد أقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم. وإنما جئتكم حين دعوتموني

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٦.

فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له»[١].

ويستفاد في ضوء ذلك: الجمع بين العزة في النفس والاتزان في الرأي والكلام؛ لأن الجمع بينهما يعطي صورة حسنة للمدعو، بخلاف العزة وحدها فقد تدعو إلى الكبر، وإذا فُقد الاتزان كان التهور نتيجة حتمية، فكان العمل على الجمع بينهما كما صنع ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حال دخوله على رستم.

ولم يكن هذا التصرف من ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صدفة، بل هو طبيعة في نفسه إثر تربية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ولأصحابه، فقد تكرر موقف العزة عندما تكلم مع رستم وأخذ بعض القرارات في المجلس ذاته ظن رستم أن هذا المبعوث هو سيد القوم، وذلك لأجل هيبة ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقوة شخصيته وعزة حديثه ورجاحة عقله، فقال ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع مَنْ ترى»[٢].

وهنا تعجب رستم من صيغة الحوار التي وضع فيها النقاط على الحروف ودعا ذلك رستم إلى سؤاله: «أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم»[٣].

فقوة شخصية الداعية المسلم حال حواره جعلت رستم يتساءل: هل هذا هو سيدهم؟ فكان الجواب: لا، فإذا كان أحد أفراد الجند بهذه الحنكة وتلك الخبرة، فكيف يكون شأن سيدهم وقائدهم؟! لا شك أن ذلك قد ترك أثرًا إيجابيًا في نفسية رستم تجاه هؤلاء العظماء الفاتحين.

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.

(٢) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٠.

(٣) المصدر السابق، جـ ٣، صـ ٥٢٠. وإن موقف ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشابه موقف حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: «مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ». رواه الإمام مسلم، كتاب الجهد، باب الوفاء بالعهد، صـ ٩٥٦، حديث رقم (١٧٨٧)، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الأعلى نزل على أمر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الأدنى، فهو من هذه الجهة وتلك الزاوية يشابه موقف ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رستم موقفه.

وقد سار على الدرب في إظهار العزة سائر مَنْ دخل على رستم، فهذ هو حذيفة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسلوا إليه أقبل في نحو من ذلك الزي – أي ثوب التواضع مثل صاحبيه المغيرة وربعيًا رضي الله عنهما – حتى إذا كان على البساط قيل له: انزل، قال ذلك لو جئتكم في حاجتي، وقولوا لملككم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي، فقد كذب، ورجعت وتركتكم، فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحب فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره، فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء، فهذه نوبتي»(١).

فقد اتصف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعزة والشجاعة في الموقفين: أحدهما أمام جند رستم والآخر أمام رستم نفسه، وهذا الأمر جعلهم جميعًا يتأهبون للإنصات الجيد والاستماع الحسن لما سيذكره حذيفة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من الحوار المشتمل على الجمع بين الأقوال والأفعال المظهرة للعزة والشجاعة. ويستفاد في ضوء ذلك ما يلي:

- أن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدِم في صفة رسول لأداء مهمة انيطت به، ولم يأتِ كسائل يريد شيئًا، وهذا جعله يتخير الوضع الذي يدخل عليه وبه. أما لوكان سائلًا فلن يدخل إلا على طريقتهم ووضعهم، وهذه تمثل قمة العزة التي ينبغي على دعاة اليوم التحلي بها في الدعوة وعدم الخنوع والضعف لاسيما مع المعاندين.
- عدم التهيب من قول الحق امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ (٢)، وتطبيقًا لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يوصي أمته بقول الحق دون تهيب لأحد «ألا لا يمنعن

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٢.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٩.

رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحقٍ إذا علمه»[١]، وقد ظهر العمل بهذه الوصية النبوية في تصرفات أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن بينهم مَنْ حاوروا رستم حال الدخول عليه، ويعلق أبو الحسن الندوي على هذه الصفة الحسنة التي تحلى بها أصحاب القادسية فيقول: «وكأن هذا الإيمان بالله رفع رأسهم عاليًا وأقام صفحة عنقهم فلن تُحنى لغير الله أبدًا، لا لملك جبار، ولا لحبر من الأحبار، وملأ قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا، فإذا نظروا إلى الملوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف ونعيم، فكأنهم ينظرون إلى صور دمى قد كُسيت ملابس الإنسان»[٢].

وهذه الصفات الحسنة والخلال الحميدة التي ظهرت من أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمام رستم وقومه لتدل على وجود قائدٍ يقف على خبرات ومهارات أتباعه، فالداعية القائد الناجح هو الذي يتابع أحوال رواده إن كان معلمًا، وأحوال جنوده إن كان قائدًا فاتحًا، حتى يستطيع توظيف هذه القدرات في وضعها المناسب ومكانها الملائم، وهذا ما قام به القائد الكبير والفاتح العظيم سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين أرسل رسلًا إلى رستم وجنده لدعوتهم إلى الإسلام، فلم يرسل أناسًا صدفة، بل أرسلهم حين علم بكفاءتهم لهذه المهمة من حيث الشجاعة والإقدام والعزة والتروي وعدم التهور، وكيفية التخلص من المواقف التي تحتاج إلى رجال على قدر المسئولية.

إذا تقرر هذا، فماذا عن الإفادات الدعوية المستنبطة في ضوء حوار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لرستم؟ هذا ما ستتم دراسته من خلال الفصل التالي:

---

(١) رواه الإمام الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب ما اخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، جـ ٤، صـ ٤٨٣، حديث رقم (٢١٩١)، وقال: هذا حديث حسن، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، هامس مسند الغمام أحمد، جـ ١٧، صـ ٦١، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حديث رقم (١١٠١٧)، مؤسسة الرسالة، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، بدون، صـ ٨٩.

## الفصل الثالث

## المستفاد من حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم

**ويتكون من ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** إجادة لغة المدعو.

**المبحث الثاني:** التركيز على الأصول دون الفروع.

**المبحث الثالث:** التزام الرفق قولاً وفعلاً.

**مدخل:**

إن الحوار الذي دار بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبين رستم قد اشتمل على مزايا عديدة وفوائد كثيرة تعين على مسيرة الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر، وتضيء للدعاة طريقهم وتبعث في نفوسهم الجد والنشاط للسير على المنوال، كي ترتقي دعوتهم وتظهر نتائجهم لدى جميع المدعويين، لا سيما غير المسلمين منهم، وأول هذه الإفادات إتقان لغة المدعو، كي يتم الفهم بين طرفي الحوار، وهذا ما سيكون الحديث حوله في المبحث التالي:

## المبحث الأول

## إجادة لغة المدعو

مما هو معلوم أن الله تعالى أرسل رسله بلسان أقوامهم ليستطيعوا تبليغ الرسالة والفهم عنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ (١). وقد فسر الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية بقوله: «اعلم أن من المعلوم أن الله خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم»(٢)، وذلك حتى تقام عليهم حجة الله تعالى.

وإذا كانت رسالة الإسلام رسالة عالمية، والناس لغاتهم مختلفة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ (٣)، فمن هنا وجب على دعاة اليوم تعلم اللغات المختلفة أو إيجاد المترجمين الأمناء، كي يستطيعوا التواصل مع غير المسلمين الناطقين بغير العربية، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعمل المترجمين لإيصال رسائله إلى الملوك والأمراء.

لقد عقب الحافظ ابن حجر على إرسال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالة لهرقل فقال: «ووجه الدلالة منه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى هرقل باللسان العربي، ولسان هرقل رومي، ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على مَنْ يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه»(٤).

---

(١) جزء من الآية ٤ من سورة إبراهيم.

(٢) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، الإمام جلال الدين السيوطي، صـ ٦٢، المحقق: التهامي الراجي الهاشمي، الناشر: مطبعة فضالة بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المغرب والإمارات، بدون.

(٣) جزء من الآية ٢٢ من سورة الروم.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، جـ ١٣، صـ ٧٣١، دار مصر للطباعة، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

وقد استعان ابن عباس رضي الله عنهما بأبي جمرة[١] مترجمًا له؛ لأنه كان يعرف الفارسية[٢].

وإيصال الدعوة بلسان المدعو يقطع عليه الأعذار في الدنيا والآخرة كما قال الإمام الزمخشري في معرض الحديث عن آية سورة إبراهيم: «أي ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه، فلا تكون لهم حجة على الله، ولا يقولوا: لم نفهم ما خوطبنا به»[٣].

ولذلك أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتعلم كتاب اليهود حتى قال زيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كتبتُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتبه، وأقرأته كتبهم، إذا كتبوا إليه»[٤]، وقال زيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه يأتيني كتبٌ من أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية؟ فقلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة»[٥]. ومما ينبغي أن نلفت النظر إليه في هذا المقام «أنه لا بد من إيجاد مراكز للدعوة الإسلامية في كل بلد يُراد أن يُدعى أهله إلى الإسلام، وأن تدرس الطرق التي تلائم كل جهة، فإن لكل قطر خصائص غير خصائص القطر الآخر، وسبلًا للتفهيم يتأثر بها، والآفاق في المعرفة مختلفة»[٦].

وإذا كان ما فعله زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمرًا فرديًا، فينبغي تعميمه في جميع

(١) هو نصر بن عمران الضبعي البصري، أحد الأئمة الثقات، وقد حدث عن ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحدث عنه خلق كثير، وقد مات في ولاية يوسف بن عمرعلى العراق في آخر سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبين جـ ٦، صـ ٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر، جـ ١، صـ ١٩١.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام أبي القاسم الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ، جـ ٢، صـ ٥٣٨، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ سنة ١٤٠٧ هـ.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاحكام، باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد، جـ ٤، صـ ٣٩١، حديث رقم (٧١٩٥).

(٥) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، الإمام محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البستي، ت ٣٥٤ هـ، صـ ٢٩، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١ سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

(٦) كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية، د/ جمعة علي الخولي، صـ ٢١٣، مراجعة: الشيخ/ محمود عبد الغفار سليمان، ط ١ سنة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

الأعصار، لاسيما مع تعدد اللغات وتوسع الأقطار، وبإسقاط هذا على موضوع البحث يتضح أن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان على علمٍ بلغة الفرس، وهذا ما جعل له الصدارة في الحديث مع رستم، ويدل على أن صاحب اللغات يخدم الدعوة الإسلامية أكثر من صاحب اللغة الواحدة، وقد وصف الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله مسنِدًا: «وكان المغيرة يفقه شيئًا من الفارسية»(١).

هذا، ولن يستطيع الداعية عرض الإسلام ومحاسنه على غير المسلم بصورة شاملة كافية إلا من خلال إتقان لغة المدعو؛ لأن فهم اللغة هو أساس الحوار بين طرفين، وعلى قدر التمكن من لغة المدعو يكون النجاح في إيصال ما ينشده الداعية، هذا إن كان الأمر يقتصر على المحاورة باللسان، أما إذا كان الحوار عن طريق الكتب والمطويات فإن الداعية يحتاج لمهارة أكبر في التعرف على لغة المدعو؛ لأن الكتابة تقوم على قواعد، فإذا تغافلها الدعية لضعف ملكته، فإن الإعراض عن قراءتها سيكون سمة المدعو.

وفي الواقع المعاصر ينبغي على الداعية أن يخصص موقعًا على شبكة الإنترنت العالمية ليستطيع من خلاله التواصل مع المدعوين من غير المسلمين، وهذه الشبكات العالمية لا ترتبط بزمن ولا يحدها مكان، ومن ثم التواصل مع أكبر عدد من غير المسلمين لمحاورتهم وتعريفهم بالإسلام ومكانته السامية، ومحاسنه الراقية التي لا توجد في دين سواه، وهذا كله لن يكون إلا بإتقان لغة المدعوين على اختلاف ألسنتهم.

ومن السبل الهادفة في هذا المجال: الاهتمام بالوافدين حتى يكونوا رسلًا لأقوامهم بعد التحصيل العلمي وتعلم أساليب الدعوة ووسائلها، وسيكونون أقوى في التعامل مع غير المسلمين في بلادهم عن المبعوث عن بلاد الإسلام «لأنهم أعرف بلسان قومهم وعاداتهم وجميع أحوالهم، وعدم وجود تكاليف مالية كبيرة؛ لأن الوافد

(١) تاريخ الطبري، جـ ٤، صـ ٨٨.

سيعود إلى بلده داعيًا بتكاليف أقل جدًا من المبعوث، وأنهم مستقرون في بلادهم، لا تصرفهم عن التفرغ للدعوة ارتباطات أخرى ولا عوامل ضاغطة من حنين إلى وطن أو عدم ملاءمة جو»[١].

هذا، ولا يُكتفى بتعلم اللغات فحسب، بل يُضم إلى ذلك التعمق في فهم الإسلام بصورة شاملة كي ينقل الإسلام للمدعو بالصورة اللائقة، لأن هناك من يتقن اللغات غير أنه ضحل الفكر قليل المعرفة، ضيق الأفق للثقافة الإسلامية، فهذا يضر أكثر مما ينفع، فوجب الجمع بينهما دون إهمال أحدهما.

هذا، وإذا أتقن الداعية لغة المدعو فإن أولية الحوار تكون للتأكيد على الأصول والكليات دون التعرض للفروع والجزئيات، وهذا ما ستتم دراسته في ضوء المبحث التالي:

(١) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، الشيخ عطية صقر، صـ ٢١٣، ٢١٤، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثامنة عشرة، الكتاب الخامس سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

## المبحث الثاني
## التركيز على الأصول دون الفروع

إن من آكد الامور التي يضعها الداعية نصب عينيه حال حوار غير المسلم أن يركز على الكليات دون التعرض للفرعيات، وأن ينصبَّ اهتمامه حول الأصول التي من شأنها أن تنير الطريق وتوضح المعالم أمام المدعو، والناظر للسنة النبوية يرى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يؤكد على هذا الأمر حال إرسال الدعاة للأمصار، كما قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أرسله داعية في أهل اليمن: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»(١).

فانظر كيف أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دل معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى حسن بداية الدعوة مع غير المسلمين، وذلك بالاهتمام بالأصول والكليات دون الانشغال بما سوى ذلك، وهذا المنهج النبوي القويم سار عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بينهم مَنْ تم اختيارهم لحوار رستم وقومه، فهذا هو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أعلن ذلك جليًا وذلك بقوله أمام رستم: «وأما عموده – أي الإسلام – الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله»(٢).

ففي أول لقاء للمغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رستم ركز على معالم الإسلام وأسسه المتينة التي لا يكون المرء مسلمًا إلا بها، وهذا يدل على فقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث إنه قد انصبَّ حديثه على الأمور التي لا مراء فيها ولا جدال، ولم يتعرض لفرعيات أو جزئيات، لأن دعوة غير المسلم تختلف تمامًا عن دعوة المسلم، وهذا

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، صـ ٣٨، حديث رقم (١٩).

(٢) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، جـ ٩، صـ ٦٢١.

ما وعاه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقام به خير قيام، وعلى هذا المنوال ينبغي على الدعاة نسج حوارهم مع غير المسلمين.

ولم يكن الامر مقتصرًا على المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل امتد ليشمل سائر أصحابه، فهذا هو ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ركز أيضًا على القواعد العامة والأصول الكلية للشريعة دون الدخول في فرعيات لا علاقة للمدعو بها في مثل هذه الحال، فمن ذلك قوله لرستم: «الله ابتعثنا لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»(١).

فلم يتعرض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا للأمور المجملة دون الدخول في تفاصيل، وهذا من فطنته وحكمته في الدعوة حيث إن المدعو لا يعرف الأصول العامة للإسلام فكان الاهتمام بها والتركيز عليها.

وهذا هو حذيفة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد سار على منوار صاحبيه في البدء بالأصول فقال في حواره لرستم وابتدء به «ندعوكم إلى الإسلام وحكمه، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا عنكم وخلفنا فيكم كتاب الله»(٢). فبدأ بالحديث عن الإسلام، ولما ذكر ما يعولون عليه حال إسلامهم ذكر كتاب الله وهو القرآن الكريم فلم يعول على فكر أو مذهب، إنما عول على أصل الأصول وهو كلام الله تعالى.

ولما جاء دور النعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر المقصد الأساس من وراء بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام رستم فقال: «إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة»(٣)، وقال أيضًا: «ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كله»(٤). وهذا المقصد المجمل جاء مركزًا على الأساس فحسب.

ولما جاء ذكر شيء من الفرعيات جاء على سبيل الإجمال الذي ينطبق على

(١) المصدر السابق، جـ ٩، صـ ٦٢١ – ٦٢٢.
(٢) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢٨.
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٢، صـ ٢٩٢.
(٤) المصدر السابق، جـ ٢، صـ ٢٩٢.

حياة العبد كلها دون التعرض لشيء دون غيره، مثل حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الشكر وعواقبه أمام رستم وجنده فقد جاء عامًا شاملًا، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر، كان شكركم يقصر عما أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال»(١).

فانظر كيف أن الحديث عن شيء من الفرعيات جاء شاملًا لكل نواحي الحياة، وهذا من الفن الدعوي الذي قام به المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بخلاف مَنْ يذهبون إلى بلاد الغرب وتكون صفتهم الإسهاب والتفصيل في جزئيات وفرعيات بل ربما التعصب لمذهب معين أو فكر لشخص، وهذا يشوه صورة الإسلام ويكون هؤلاء الدعاة من هذا الصنف عوامل صد وتنفير لا عوامل جذب وتبشير، وكان الأحرى بهم السير على منوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تحلوا بعرض الكليات والقواعد العامة للإسلام.

هذا، وإذا وُفق الداعية لأن يبدأ حواره مع غير المسلم بالتركيز على الكليات والقواعد العامة للإسلام، فإن من التوفيق أيضًا أن يكون حواره باللين قولًا وفعلًا، وهذا ما سيتم الكشف عنه في ضوء المبحث التالي:

(١) تاريخ الطبري، جـ ٣، صـ ٥٢١، ٥٢٢.

## المبحث الثالث

## التزام الرفق قولاً وفعلاً

إن الناظر لحوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع رستم يرى أنه قام على اللين في المحاورة، والرفق في المعاملة؛ لأن الله تعالى يحب الرفق في كل المواطن وعلى رأسها موطن الدعوة لا سيما مع غير المسلم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»(١).

فالداعية إذا وُفق واستعمله حال دعوته وكان عنوانًا له وسمتًا يُعرف به فإن الله يمنحه الأجر الوفير جزاء رفقه كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»(٢)، ومن معانيه: «أنه يثيب على الرفق ما لا يثيب على غيره، وقيل: يتأتى به من الأغراض، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره»(٣).

وإذا كان يتم من ورائه تحصيل الأجر، فيكون كذلك سببًا في فتح قلوب العباد؛ لأن الرفق يستحوذ على مشاعرهم، «فهو أنجح الأساليب وأكثرها تأثيرًا بالمدعوين، وأنه عامل كبير في جذب المدعوين لا سيما غير المسلمين، وله أثر كبير في بناء علاقة طيبة قائمة على الثقة والمحبة والمودة بين الداعي والمدعو، ويورث راحة وفتحًا لأسارير النفس، مما يجعل نفوس المدعوين أكثر إقبالًا على تعاليم الإسلام وتقبلًا لها، وبالجملة: نصيب الداعي من الخير ومن النجاح على قدر نصيبه من الرفق»(٤).

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، جـ ٤، صـ ١٣١، حديث رقم (٦٠٢٤)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُرد عليهم، صـ ١١٥٤، حديث رقم (٢١٦٥).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، صـ ١٣٥٥، حديث رقم (٢٥٩٣).

(٣) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام جلال الدين السيوطي، جـ ٥، صـ ٥٢٥، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط ١، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.

(٤) مباديء في فكر الدعوة الإسلامية. تأليف: محمد غسان الجنيدي الحسيني، صـ ٩٣ – ٩٤ – بتصرف، سلسلة أبحاث ودراسات (٣)، ط ٢ سنة ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م، سورية، دمشق.

أما إذا أعرض الداعية عن الرفق في حواره لا سيما مع غير المسلم فإنه يُحرم أجر الرفق، ويُحرم قبول المدعوين، وهذا ما أخبر عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «من حُرم الرفق حُرم الخير، أو من يُحرم الرفق يُحرم الخير»(١)، وإذا كان مَنْ حول الداعية ينفر منه لأجل غلظته، فإن نفور غير المسلم من باب أولى، ولذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا خطورة الغلظة حتى يحذر الدعاة ذلك: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٢). فالعنف تنفر منه الطبائع السوية ويفر منه ذوو النفوس الزكية، فالأصل في الداعية أن يكون الأدب سمته واللين هديه، واللطف علامته، والرفق منهجه، لأن ذلك يمس وتر القلوب، ويجعل الأنفس في حالة من القبول الذهني والاستعداد النفسي لما يُطلب منها.

هذا، والرفق لا ينحصر في الأقوال فحسب، بل يكون كذلك في الأفعال والتصرفات؛ لأن الرفق «هو لين الجانب بالقول والفعل والاخذ بالأسهل»(٣).

ومن الأمورالتى تدل على الرفق بالأحوال والتصرفات حال الحوار مع غير المسلم «ألا يكثر من عرض المحرمات في الإسلام»(٤)؛ لأن ذلك يهيء غير المسلم أن الحياة ستكون غير طبيعية، وإذا وصل المدعو لهذا الشعور فإنه يؤثر شهواته وملذاته على الدخول في الإسلام، وهذا بسبب عدم فطنة الداعية وقلة وعيه تجاه محاورة غير المسلم.

كذلك من الرفق بالأحوال «ألا يتحدث عن الخلافات الفقهية كثيرًا؛ لأن هذا الداعية يوقع بعض المدعوين غير المسلمين في حيرة واضطراب لأنهم لا يدركون

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، صـ ١٣٥٤، ١٣٥٥، حديث رقم (٢٥٩٢).

(٢) جزء من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، جـ ٢٢، صـ ١٧٨.

(٤) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في البلدان العربي «الواجب والواقع»، رسالة ماجستير للباحث/ أحمد جودة السيد محمد سالم، جـ ٢، صـ ٥٣١، سنة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.

حقيقة المذاهب الفقهية ولا خلاف العلماء»[١]؛ لأن المدعو قد يظن أن مثل هذه الخلافات وتلك المذاهب قائمة على اختلاف التضاد لا التنوع، وأن الفروق بينها جوهرية، وأن أمور العقيدة يقع فيها وبينها التضارب كما عند غير المسلمين، ومن ثم لن يفكرَ في اعتناق الإسلام، لأنه ظن بفهمه القاصر وسوء حوار الداعية أن الإسلام كغيره من الأديان، فلا داعي لترك دينه للإقبال على الإسلام، وهذا يدل على أن الداعية إذا لم يأخذ نصيبه من الرفق ويعرف كيف يوظفه قولًا وفعلًا وحالًا، فإنه يكون عامل هدم وتنفير، لا عامل بناء وتأليف.

هذا، ويلاحظ في حوار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لرستم وقومه أنهم لم يتعرضوا للحديث عن الردة وحكم من تلبس بها، وهذا من اللين في الدعوة والرفق في الحوار، وهذا لعدة أسباب، منها:

- أن ذلك فيه صد عن الدخول في دين الإسلام؛ لأن المدعو غير المسلم لو عُرض عليه حكم الردة فسوف يفكر كثيرًا قبل الإقدام على اعتناق الإسلام، وغالبًا ما يرفضه، لأنه لا يريد المجازفة بحياته إن لم يرضَ بالإسلام دينًا، وهذا يُحدث عقبة كبرى في مجال محاورة غير المسلم ودعوته إلى الإسلام.
- انه لم يثبت عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا خلفاءه الراشدين ولا سائر أصحابه من بعده، أنه أخبر أحدًا من أهل الكفر وهو يدعوه إلى الإسلام أن من ارتدَّ عنه مستقبلًا فإن القتل جزاؤه، وما دام أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يفعل ذلك فلا يحق لأحدٍ مخالفته لا سيما في مثل هذا الباب العظيم.
- أن المدعو المراد إدخاله في الإسلام بمجرد اعتناقه يشرق النور في قلبه، وتشع حلاوة الإيمان في صدره، وذلك لأنه يرى فروقًا هائلة بين حياته الجاهلية الأولى، وبين تعايشه مع الإسلام، ويُستشهد لذلك بما قاله هرقل لأبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ

(١) المصدر السابق، جـ ٢، صـ ٥٣١.

حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ»[1].

فالداعية الموفق والحاصل على مؤهلات الرفق واللين لا يحتاج لإخبار المدعو غير المسلم بذلك؛ لأنه بإسلامه سيتحول من سيء إلى حسن، ثم من الحسن للأحسن، فإنه كلما رسخت قدمه في الإسلام أحبه وكره العود لجاهليته مرة أخرى، وبهذا يتضح أن مفهوم الرفق أوسع من أن ينحصر في القول فحسب، بل يُضم إلى القول الأفعال والتصرفات.

* ويلاحظ كذلك في حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرستم أنهم لم يدعوا عليه ولا على جنده أثناء الحوار والدعوة، وهذا غاية الرفق بهم، فمع كونهم لم يسلموا لم يدعوا عليهم، بل الأصل الدعاء لغير المسلم بالهداية، فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله إن دوسًا قد عصت، وأبت، فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: «اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم»[2].

فقد دعا لهم في حين أن الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد طلب الدعاء عليهم، وهذا من عظيم خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الدعاء عليهم فله ملابساته وظروفه الخاصة.

وعلى هذا فالرفق لا ينحصر في القول فحسب، بل يشمل كل ما يحتاج إليه الداعية من قول أو فعل، كي يرتقي بدعوته إلى الأكمل والأسمى.

وبانتهاء هذا المبحث والذي به خُتم الفصل الثالث من هذا البحث تنتهي الدراسة، وأتوجه إلى الخاتمة المشتملة على أهم نتائج الدراسة وتوصياتها.

(١) جزء من حديث طويل رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، دون تبويب، جـ ١، صـ ٨، حديث رقم (٧)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، صـ ٩٤٦، حديث رقم (١٧٧٣).

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين، جـ ٤، صـ ٢١٠، حديث رقم (٦٣٩٧)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل غِفار، وأسلم، وجهينة، وأشجع، ومُزينة، ودوس، وطيء، صـ ١٣٢٢، حديث رقم (٢٥٢٤).

# الخاتمة

## الخاتمة

بعد أن وفقني الله تعالى لاختيار عنوان هذا البحث وإنجاز دراسته توصلت لأهم النتائج والتوصيات على نحو ما يلي:

**أولاً: أهم النتائج:**

**للبحث نتائج عديدة، منها:**

١) أول احتكاك بين المسلمين والفرس لأجل الدعوة لا لخوض غمار الحروب.

٢) الرد السيء من كسرى على كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتتابع الفرس على نحو نهجه.

٣) اختيار الصحابة الذين تحاوروا مع رستم بدقة ومهارة من قِبَل القائد الجليل والصحابي الموفق سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بناءً على تعليمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤) عالمية الدعوة الإسلامية وإيجاب نشرها على الدعاة والعلماء إلى قيام الساعة.

٥) تحرير العباد من الاستعباد من مهام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حال الحوار، وهو من أعلى فنيات الدعوة.

٦) الدعوة إلى العدل والإصلاح، ولا يتأتى ذلك إلا في ظل اعتناق الإسلام، وهذا يدل على فنية الحوار.

٧) تحديد الأهداف حال الحوار سمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للعمل على إيجاز واختصار الوقت.

٨) تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى رستم وجنده؛ يدل على عمق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الفهم واستيعاب الأحوال.

٩) اعتناق الإسلام شرطٌ لقبول الأعمال، وبدون ذلك تذهب الأعمال سُدىً.

١٠) الدعوة تكون عن طريق ضرب الأمثال لإظهار الحقائق وتقريب المعاني وكشف الأستار عن المعاني الخفية.

١١) صدق الداعية يدل على قربه من ربه، وخوفه على المدعوين أن يموتوا على غير الإسلام.

١٢) اقتناع الداعية بدعوته يجعله يتفانى في عرضها بصورة حسنة وكلمة طيبة.
١٣) سرعة بديهية الداعية تعينه للخروج من العقبات، وتذلل له الصعاب، وتأخذ بقلب الخصم نحو السداد، ولا يتحقق ذلك للداعية إلا في ضوء تعايشه مع المدعوين، والاستماع الجيد في مجالس الحوار.
١٤) عزة نفس الداعية تجعله ثابت المبادئ والمواقف، زاهدًا فيما في أيدي المدعوين.
١٥) التواصل الجيد مع المدعوين الأعاجم ناتج عن إتقان لغتهم.
١٦) انشغال الداعية بالدعوة إلى الأصول والكليات ينم عن بصيرته النيرة، وقلبه المتيقظ.
١٧) رفق الداعية حال حواره يدل على التدرب على فنيات الدعوة، والأخذ بقلب المدعو نحو رحاب الإسلام، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

**ثانيًا: التوصيات:**

بعد استخرج أهم النتائج، أشير إلى أهم التوصيات فيما يلي:
١) أوصي بدراسة الفنون الدعوية في حوار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليزدجرد ملك الفرس.
٢) أوصي بدراسة القواعد الكلية في إنجاح أسلوب الحوار مع غير المسلمين.
٣) أوصي بدراسة فنون الإقناع في ضوء القرآن الكريم، حوار سيدنا شعيب عليه السلام مع قومه أنموذجًا.

## المراجع والمصادر


- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الإمام القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، ط ٧، سنة ١٣٢٣ هـ.
- أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين بن الأثير، ت: ٦٣٠ هـ، الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ سنة ١٤١٥ هـ.
- أصول الدعوة الإسلامية، أ. د/ أحمد أحمد غلوش، الناشر دار الرسالة، ط ١ – ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م.
- إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن الندوي، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، ط ٤ سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.
- تاريخ ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ٢ سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، د/ عبد الرب بن نواب الدين آل نواب، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط العدد ١٢٨ لسنة ١٤٢٥ هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط ١– ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في البلدان العربي «الواجب والواقع»، رسالة ماجستير للباحث/ أحمد جودة السيد محمد سالم، سنة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.

- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام جلال الدين السيوطي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط ١، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.
- الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، الشيخ عطية صقر، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثامنة عشرة، الكتاب الخامس سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨ م.
- السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، د/ أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة الثالثة والثلاثون، العدد ١١١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث: القاهرة، سنة الطبع ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- الصحيح الجامع المسند المختصر من سنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأيامه، المشهور بصحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، ت ٢٥٦ هـ، دار المنار للنشر والتوزيع، بدون.
- الصحيح الجامع، المشهور بصحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، دار ابن رجب، المنصورة، ط١ – ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.
- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الناشر: دار الكلمة، ط ١ سنة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبي محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، الناشر: دار مصر للطباعة، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
- في كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ سنة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.
- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨ – ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام أبي القاسم الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ سنة ١٤٠٧ هـ.
- كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية، د/ جمعة علي الخولي، مراجعة: الشيخ/ محمود عبد الغفار سليمان، ط ١ سنة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، بدون.
- مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، جهاد الترباني، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١ سنة ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.
- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية. تأليف: محمد غسان الجنيدي الحسيني، سلسلة أبحاث ودراسات (٣)، ط ٢ سنة ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م، سورية، دمشق.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المعروف بابن البيع، ت: ٤٠٥ هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.

- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: ٢٤١ هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين بإشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.
- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، الإمام محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البستي، ت ٣٥٤ هـ، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١ سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د/ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، المحقق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١-١٤٢هـ ١٩٩٢م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ سنة ١٣٩٢ هـ.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، الإمام جلال الدين السيوطي، المحقق: التهامي الراجي الهاشمي، الناشر: مطبعة فضالة بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المغرب والإمارات، بدون.